

أحسن القصص

بين القرآن الكريم والكتاب المقدس

تأليف

على حسين الميلادى

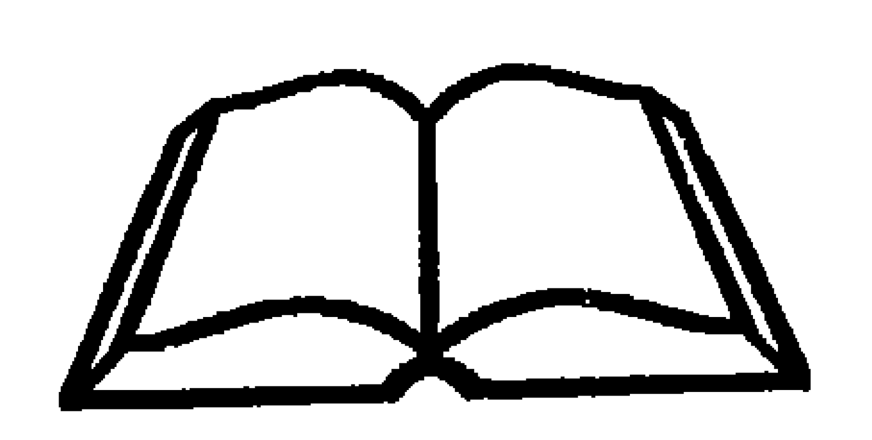
دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع

تليفاكس: ٠٣/٥٢٧٤٤٣٨ الإسكندرية

سلسلة رسائل المسجد
رسالة التوعية

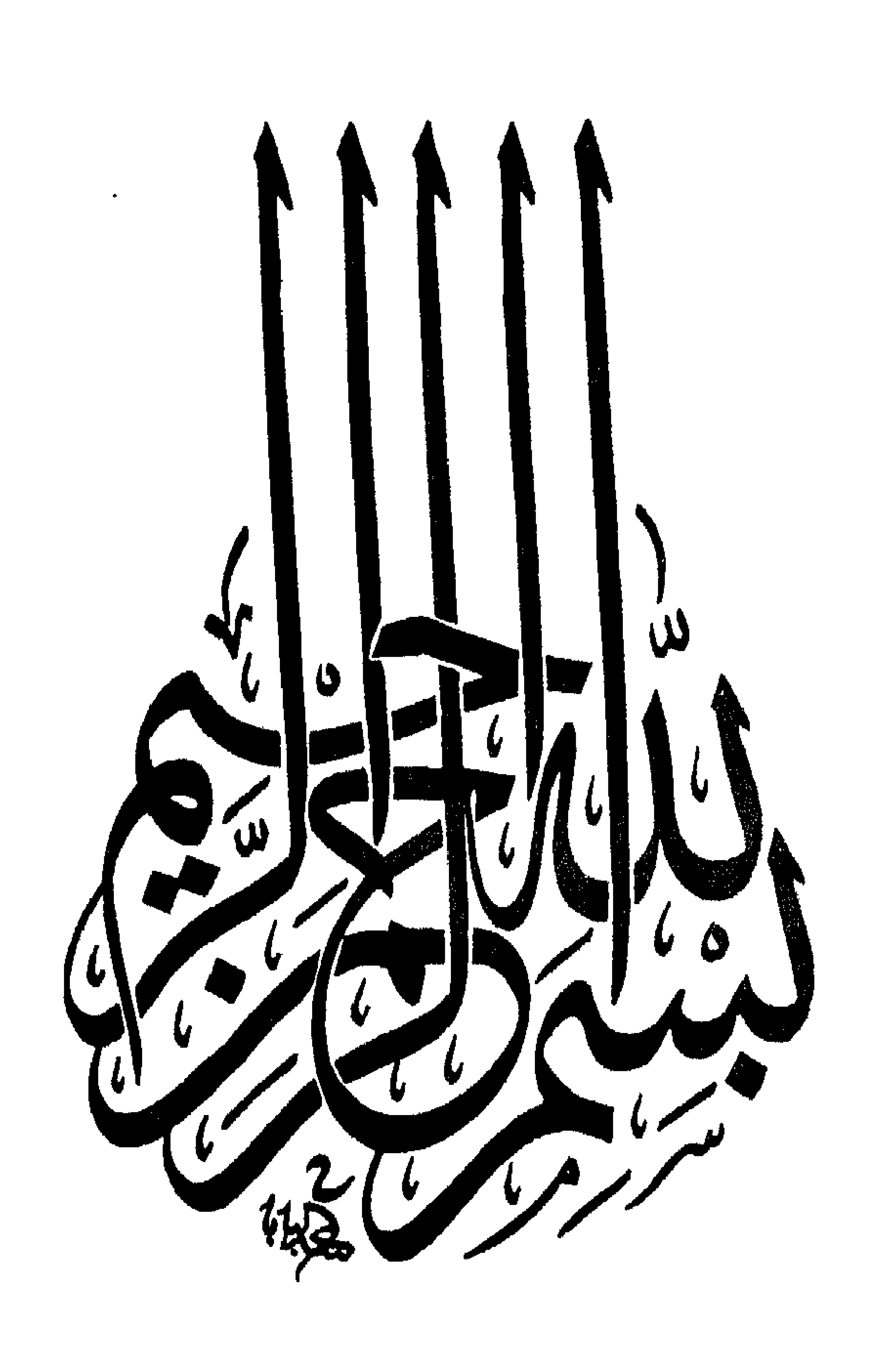
أحسن القصص

بين القرآن الكريم الكتاب المقدس

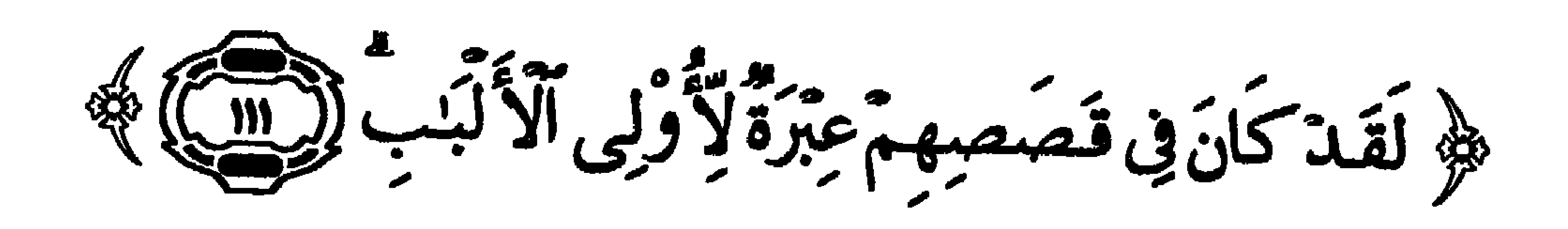


تأليف
الأستاذ / على حسين الميلادي

١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧ م


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم



صدق الله العظيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا إنه من يهد الله فهو المهتدى ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدة لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ،وأشهد أن سيدنا ونبيا محمد ﷺ .

أما بعد فإن قصص الأنبياء شغلت مساحة كبيرة من القرآن الكريم، ولم تأت هذه القصص فى القرآن الكريم للتسلية ، ولكن كما قال المولى سبحانه وتعالى عنها فى محكم آياته {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ..} (١).

أى أن هذه القصص الغرض منها لأخذ العبر والمواعظ والتحذير من سوء عاقبة المكذبين الغافلين الجاحدين ، فهى بالنسبة لنا ناقوس الخطر الذى يُسمع الآذان ، ويحذر العباد فى كل يوم وفى كل وقت ، فهذه هى الرسالة السماوية الأخيرة ، وهى رسالة الإسلام .

ونحن هذه الأيام فى أشد الحاجة وخصوصا فى هذا العصر للتوقف عند القصص القرآني بكل انتباه، لأنه للأسف هذا العصر هو عصر الفساد ، فأسباب هلاك الأمم السابقة اجتمعت كلها فى وقت واحد فى هذا العصر ، وهذه القصص لم يأت بها القرآن فقط ولكن جاءت بها الكتب السماوية الأخرى .

وفى كثير من الكتب التى تتحدث عن قصص الأنبياء وخصوصا فى كتب التراث الإسلامى تخلط بين الكتب الثلاثة وخصوصا فى تفسير النصوص التى لم يرد ذكرها فى السنة النبوية فيؤخذ بآراء أهل الكتاب،

---

(١) يوسف من الآية (١١١) .

أن بعض القصص نجد أن كتب أهل الكتاب تتحدث عن أمور لا يصح الحديث بها عن نبى من الأنبياء . وكذلك لاختلاف جوهري فى مقصد الكتب السماوية، وهذا لا يدل إلا على أن اليد البشرية قد تدخلت فى كتب أهل الكتاب . لأن الله سبحانه وتعالى تعهد بحفظ القرآن {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}(١) .

وهذا التدخل البشرى يُلاحظ بسهولة ، ويدركه أى قارئ ولذا فى هذه الرسالة سوف أتوقف عند العبر من قصص القرآن الكريم وأركز عليها وأبينها ، وأما بالنسبة للكتاب المقدس وهو التوراة والإنجيل أى العهد القديم والعهد الجديد ، فسيكون دورى فقط هو نقل هذه النصوص، وجعل تعليقى على بعض هذه النصوص على الهوامش ، متحرياً الأمانة فى النقل أى لا أنقل نصا مبتوراً حتى لا يُفسد المعنى كالذى ينقل نص لا تقربوا الصلاة ويسكت ، فهذا ليس بأسلوب علمى . إلا أنى سوف أجعل رأيي على مجمل قصص القرآن فى الكتاب المقدس فى أخر هذه الرسالة وسأجعل له فصل خاص .

ونسأل الله أن يجعل هذا علما نافعا ينتفع به
وأن يوفقنى لما يحبه ويرضاه إنه نعم المولى ونعم النصير

الإسكندرية فى : يوم الجمعة
الموافق : ٥ ذى القعدة ١٤٢٥هـ .
١٧ ديسمبر ٢٠٠٤م.

---

(١) الحجر : ٩ .



النبــوات

من رحمة الله ومن عدالته إرسال النبيين والرسل إلى العباد ، فالعقل البشرى قد يدرك أن هناك خالقا لهذا الكون وهناك مدبرا لهذا الكون ، وأن هناك قوة خفية تدبر هذا الكون ، ولكن لا يوجد عقل مهما بلغ من الرجاحة أن يدرك من هذا المدبر ، ولا مطالب هذا المدبر من العباد ، وكذلك لا يستطيع عقل أن يدرك أن هناك حياه بعد الموت ، ولا حسابا ولا جنة ولا نارا ، وإن وجدت شواهد كثيرة وأول هذه الشواهد هى الإنسان نفسه ، وحال الناس فى هذه الدنيا من شقاوة وسعادة ، وفقر وغنى، ومرض وصحة لذا أوجب الله على نفسه أنه لن يعذب إنسانا لم تصله رسالة من السماء ، لقوله تعالى : {.. وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً}(١) وقوله تعالى :{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ}(٢) وقوله تعالى: {رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ .. }(٣) ،وكل هذا من رحمة الله بعبادة .

ومن عدل الله أنه يرسل الرسل تترا لقــوله {ثُمَّ أَرْسَلْــنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ..} (٤)وهذا لتعريف الناس بخالق هذا الكون ، وبما شرعه الله لهم من أحكام ، وثم الأخبار عن اليوم الآخر والبعث والحساب والجنة والنار .

(١) الإسراء : ١٥ .
(٢) فاطر : ٢٤ .
(٣) النساء : ١٦٥ .
(٤) المؤمنون : ٤٤ .

والأنبياء جميعهم عقيدتهم واحدة ، ولكن الاختلاف بينهم فى الشريعة فالعقيدة الجامعة هى {.. اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ }(١) والشريعة فى قوله تعالى :{.. لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ..}(٢)، وفى قوله ﷺ : "**الأنبياء اولاد أخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد**"(٣).

أى وحدة العقيدة واختلاف الشريعة .

والأنبياء لهم صفات خلقية وصفات خُلقية .

أولاً الصفات الخلقية :

١ - **البشرية** : أى أنهم بشر ولا يكونون ملائكة لقوله تعالى : {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}(٤).

٢ - **الرجولة** : اختص الله الرجال بالنبوات ، وهذا لأن تكاليف النبوات تحتاج إلى عمل شاق وإلى جهاد ومجادلة وخلطة وهذا لا يناسب المرأة .

٣ **السلامة** من كل عيب وعاهة : وذلك لأن النبى مكلف بالدعوة والتحرك بين الناس وهذا العمل لا يستطيع أن يؤديه مثلاً أصم ، ولا أبكم ولا أعمى ولا قعيد.

---

(١) الأعراف : ٦٥ .

(٢) المائدة : ٤٨ .

(٣) رواه البخارى .

(٤) النحل : ٤٣ .

٤ - **وكذلك سلامة العقل** : فلا يستوى أن يؤدى هذه الوظيفة مجنون ولا سفيه ، لذا أرسل الله معظم الأنبياء فى سن الأربعين وهو سن كمال العقل وبلوغه كمال النضج .

٥ - **أن يرسله الله بلسان قومه** : حتى يستطيع أن يخاطبهم بسهولة، ويكون من بعد حمله نور النبوة من قومه وأهله وأصحابه كحوارى سيدنا عيسى ، وكما أصحاب سيدنا محمد ﷺ . ولقوله سبحانه وتعالى : {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ ..}(١).

ثانياً : الصفات الخُلقية :

١ - **الصدق** : فلا بد أن يتسم النبى بالصدق وإلا ما صدقه أحد وخصوصاً فى أخبار الأنبياء عن غيب ، فرسول الله ﷺ كان يسمى "الصادق الأمين" .

٢ - **الأمانة** : فلا بد أن يتصف النبى بالأمانة لأن الله يحملهم أغلى الأمانات وهى التبليغ عن المولى سبحانه وتعالى وفى قصة سيدنا موسى تقول ابنت شعيب : {.. يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ }(٢).

٣ - **الإخلاص** : فهذه من أهم صفات الأنبياء فلا يوجد نبي جاء لشهرة أو سمعة فكل العمل ابتغاء مرضاة الله ، بل إن الجميع تحمل الإيذاء والغلظة والجهل عليه .

٤ - **الشجاعة** : يحتاج عمل النبى إلى الشجاعة ، فعلية البلاغ وتحدى الطغاة والمتكبرين والملوك ، وعلية تكاليف أخرى كالجهاد ، فهذه الأمور تحتاج إلى شجاعة منقطعة النظير، والرسول ﷺ كان إذا حمى الوطيس احتمى به الصحابة .

(١) إبراهيم : ٤ .
(٢) القصص : ٢٦ .

ثالثا : ينفرد الأنبياء بأمور أخرى عن سائر البشر :

١ - **الوحى** : وهو الأخبار بوحى أى أن يرسل الله لهم ملكا وهو جبريل ، رسول السماء لأنبياء الأرض ، فيبشرهم بالنبوة ويخبرهم بالشريعة . فيقول تعالى : {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}(١) .

وقال تعالى : {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ۞ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ۞ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ}(٢)

٢ - **العصمة** : فالنبى بالإجماع معصوم فى البلاغ عن ربه ، أى محال أن يخطئ أو أن يكتم شيئا مما أوحى له الله به

لقوله تعالى : {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ۞ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى}(٣) وفى قوله تعالى : {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۞ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۞ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ}(٤) .

أى أن الله ما كان ليترك النبى يفعل هذا أبداً ، وما يمنع الله أن يترك من اصطفاه على العالمين ليفعل هذا .

وأيضاً عصمة الأنبياء من ارتكاب الكبائر فهذا أيضاً محال على الأنبياء . إلا أن الخلاف هو ارتكاب الصغائر وهذا الأمر قبل النبوة طبعا فهل النبى معصوم من ارتكاب الصغائر أم لا .

---

(١) الكهف : ١١٠ .
(٢) الشعراء : ١٩٣ إلى ١٩٥ .
(٣) النجم : ٣ - ٥ .
(٤) الحاقة : ٤٤ - ٤٦ .

٣ **عدم نوم القلب** : وقال ﷺ : **"إن عينى تنامان ولا ينام قلبى "**[١]

٤ - **يخبر النبى عند موته** : قال ﷺ : **" ما من نبى يمرض إلا وخير بين الدنيا والآخرة "** [٢].

وهذا هو ما حدث مع الرسول ﷺ وأيضاً ومع سيدنا موسى عندنا جاء لهما ملك الموت ، فالرسول ﷺ اختار الرفيق الأعلى ، وسيدنا موسى اختار الرفيق الأعلى بعد أن رجع إلية ملك الموت يخبره بأن النهاية هى الموت ولكنه تأجل له فقط إذا أراد ، فاختار لقاء الله .

٥ - **النبى يقبر حيث يموت** : قال ﷺ : **" لم يقبر نبى إلا حيث يموت"**[٣] وبهذا الحديث اتفق الصحابة على دفن الرسول ﷺ فى حجرته بجوار المسجد النبوى بعد أن اختلف الصحابة على دفن الرسول ﷺ .

٦ - **الأرض لا تأكل أجسادهم** : قال ﷺ : **"إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء"**[٤] .

٧ - **أحياء فى قبورهم** : قال رسول الله ﷺ : **" الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون "**[٥] .

٨ - **لا يورثون** : قال ﷺ : **" لا نورث ما تركناه فهو صدقة "**[٦].

---

(١) ابن حبان .
(٢) رواه البخارى .
(٣) رواه أحمد .
(٤) رواه أبو داود .
(٥) رواه الجماعة .
(٦) سنن أبن داود .

٩ - **المعجزة المؤيدة للرسول** : قال ﷺ : **" ما من نبى إلا وأوتى منهم الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيت وحياً أوحى الله إلىّ ، وأرجو أن اكون أكثرهم تبعاً يوم القيامة"**[١] .

فيرسل الله مع الرسول معجزة خارقة للعادة حتى يصدقه الناس ويتحدى بهذه المعجزة المعاندين والمكذبين ، وفى الغالب تكون هذه المعجزة من جنس ما برع فيه قوم النبى ، كمثل سحرة موسى أرسل الله سبحانه وتعالى موسى بالعصا ، وسيدنا عيسى أرسله الله بمعجزة إحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص، وكانوا بارعين فى الطب ، وسيدنا محمد أرسله الله بالمعجزة الباقية إلى يوم القيامة القرآن الكريم . تحدى به فصحاء العرب ، فأتوا بسورة من مثله إن كنتم صادقين . وهذه حكمة الله بأن تكون معجزة الرسول ﷺ باقية وهذا ما نراه بعد التقدم العلمى فى العصر والقرآن مازال يتحدى بل إن كثيراً من مستكشفات هذا العصر نجد لها إشارات فى القرآن الكريم أو نصا صريحا بهذه الاستكشافات ولكن العقول فى الماضى لم تكن لتستوعب هذا الأمر .

والله سبحانه وتعالى يقول : {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ..}[٢].

✡✡✡

(١) رواه مسلم .

(٢) فصلت : ٥٣ .

الأنبياء والرسل

قبل الحديث عن أنبياء الله ، فلا بد من الإجابة على هذا السؤال والسؤال المطروح هل هناك فرق بين الأنبياء والرسل ؟

الإجابة نعم ، فهناك فرق فالرسول غير النبى .

قال تعالى : {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى ..} (١). فالفرق بينهما أن الرسول يأتى بشريعة جديدة وكتاب سماوى ، أما النبى فهو يأتى كمصلح ، لا يأتى بشريعة جديدة ولكن يأتى لتصحيح ما أدخله الناس على الدين الذى جاء به الرسول وهو يقوم بهذا الدور بوحى من السماء . وكذلك يقوم بتبليغ هذه الرسالة بأمر من ربه .

ولكننا نجد أن الله يخاطب الرسول ﷺ مرة بـ يأيها الرسول ومرة أخرى بـ يأيها النبى فى قوله تعالى : {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ..}(٢)، ومرة أخرى : {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا}(٣) فهل يفهم من هذه النصوص أن الرسول هو النبى ؟ فكل رسول نبى، وليس كل نبى رسولا .

وأرسل الله الرسل والأنبياء منذ آدم إلى سيدنا محمد ﷺ:" **خاتم النبيين ولا توجد أمة إلا وأرسل الله فيها نذير**"، {..وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ}(٤) .

---

(١) الحج : ٥٢ .
(٢) المائدة : ٦٧ .
(٣) الأحزاب : ٤٥ .
(٤) فاطر : ٢٤ .

وسئل الرسول ﷺ عن عدد الأنبياء والمرسلين فقال ﷺ لأبى ذر **"عدد النبيين مائة وأربع وعشرون ألف"** وقلت يا رسول الله وكم عدد الرسل قال : **ثلاثمائة وثلاث عشر جماً غفيراً** .قال أبو زر قلت يا رسول الله من كان أولهم قال : "آدم" قلت يا رسول الله نبى مرسل قال : **"نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه"** (١).

والله فضل بعض النبيين على بعض فقال تعالى : {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ..}(٢).

وأخبر المولى عن بعض الرسل ولم يخبر عن بعض فقال تعالى : {وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}(٣) .

والواجب على كل مسلم أن يؤمن بكل الأنبياء والرسل على سبيل الإجمال وبالتفصيل من جاء ذكرهم فى القرآن هم ٢٥ رسولا منهم من جاء ذكرهم فى القرآن فى سورة الأنعام وهم نبى ورسول والباقى وهم آدم وإدريس وذو الكفل وهود وصالح ، وشعيب . ومحمد ﷺ جاء ذكرهم فى سور أخرى .

وهناك خلاف فى نبوة الخضر وتبع ، ذا القرنين وقال ﷺ : **"لا أدرى أتبع نبياً أم لا ، لا أدرى ذا القرنين نبياً أم لا "**(٤) .

(١) ابن حبان .
(٢) البقرة ٢٥٣ .
(٣) النساء ١٦٣ .
(٤) رواه الحاكم .

إلا أن الأصح أنه أرسل لهم {وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ }(١). ويؤمن بأولى العزم من الرسل وهم سيدنا نوح وسيدنا إبراهيم وسيدنا موسى وسيدنا عيسى وسيدنا محمد وهم من تحملوا الصعاب في سبيل الدعوة لله ونشر الرسالات التى بعثوا بها وعانوا الكثير في سبيل ذلك ويقول تعالى فى حقهم : {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ..}(٢).

ويؤمن أيضاً بالكتب السماوية التى أنزلها الله على رسله وطبعاً غير المحرفة وذلك لقوله تعالى : {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}(٣).

فيؤمن بالتوراة التى أنزلها الله على سيدنا موسى . والإنجيل الذى أنزل على عيسى بن مريم . وصحف إبراهيم وزبور داود .

وهذه الكتب كلها جاءت بعقيدة واحدة أعبدوا الله ما لكم من إله غيره . واختلفت الشرائع فشريعة عيسى مثلا جاءت لفترة قصيرة قبل البعثة النبوية ولتحل لبنى إسرائيل بعض الذى حرمه الله عليهم فى التوراة فهذه الرسالة هى مهيئة للبعثة النبوية وشريعة الإسلام التى تتسم بالوسطية .

❂❂❂

(١) ق : ١٤ .
(٢) الأحقاف : ٣٥ .
(٣) البقرة : ٢٨٥ .

صورة كربونية

وهو مشهد يتكرر مع كل نبى وقومه تقريباً ، وهو إيمان الضعفاء والمستضعفين ، وإنكار السادة والعظماء والأشراف فقوم نوح يقولون له :{.. أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ}(١) وكفار قريش يقولون {.. لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ} (٢)

فهم أرادوا أن تكون هذه المنحة الربانية والاصطفاء من العظماء، وأيضا مشهد أخذ أهل القرى بالشدة لعلهم يعودون إلى رشدهم كما فعل الله مع فرعون وقومه فأرسل لهم الإنذارات متوالية لعلهم يرجعون، فأرسل عليهم الطوفان والجراد والقمل فقال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ}(٣)

ويمهلهم الله وذلك بسبب الضعفاء المستغفرين والمتطهرين وقال تعالى :{وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ}(٤) .

وأيضاً حال المتكبرين مع المتطهرين هو الكراهية ومحاولة مستمرة ليطردوهم من أرضهم . وهذا هو حال الكفرة فى كل زمان ومكان هو الحقد على المتطهرين والتضييق عليهم ، وكما يقول المولى

---

(١) الشعراء : ١١١ .
(٢) الزخرف : ٣١ .
(٣) الأعراف : ٩٤ .
(٤) هود : ١١٧ .

منهم فى محكم آياته : {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ..}[١].

وكما قال قوم شعيب للمؤمنين {.. لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ}[٢]، وعندما يضيق صدور المرسلين وتبلغ القلوب الحناجر يأتى نصر الله . كما يقول سبحانه وتعالى{حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} [٣].

وليس هذا فقط ولكن الله يورث الأرض للعباد الصالحين كما قال تعالى : {وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ}[٤].

ثم بعد ذلك تختتم هذه الصورة الكربونية بهذا المشهد ألا وهو هلاك الغابرين، من المكذبين الضالين ، وهذا هو العاجل، ويبقى لهم الاخرة وهو ما أنكروه وجحدوا به من قبل ، وهذا المشهد نتوقف عنده تماماً ، فجميع أسباب هلاك الغابرين بيننا فى هذه الأيام لذا نسأل السلامة وأن يرفع عنا غضبه ومقته وعذابه .

---

(١) إبراهيم : ١٣ .
(٢) الأعراف : ٨٨ .
(٣) يوسف : ١١٠ .
(٤) إبراهيم : ١٤ .

وفى مقابل هذا العذاب هناك الثواب فى الدنيا وهو الرزق الرغد وهناء العيش ورضى الله عنهم ولكن هل من أذن واعية ، لمن هذا الثواب للمؤمنين والمصدقين بدعوة الرسل قال تعالى : {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ}[1]. ولسان حال المرسلين يقول : {..لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ}[2].

ونبدأ قصص الأبناء مع سيدنا آدم .

✡✡✡

(١) الأعراف : ٩٦ .

(٢) الأعراف : ٩٣ .

قصة سيدنا آدم

فى القرآن والسنة

تبدأ قصة آدم منذ إخبار المولى للملائكة ، إنى جاعل فى الأرض خليفة فخلق الله آدم من طين لقوله تعالى :{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ}(١).

وقال ﷺ "خلق الله آدم طوله ستون ذراعاً ثم قال اذهب فسلم على أولئك الملائكة ، فاستمع ما يجبونك ، فإنها تقدرك ، فقال السلام عليكم ورحمة الله ، فزادوه رحمة الله وبركاته ، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم ، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن" (٢) . وقال أيضاً ﷺ : **" لما نفخ فى آدم فبلغ الروح رأسه عطس ، فقال الحمد لله رب العالمين ، فقال له تبارك وتعالى "يرحمك الله"(٣).**

ثم بعد ذلك أمر الله الملائكة بالسجود لأدم تكريماً له، فسجد الملائكة إلا إبليس تكبر ورفض السجود ، وكان من الجان، ففسق ورفض الطاعة ووقعت عليه اللعنة إلى يوم القيامة كما يقول المولى سبحانه وتعالى {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ }(٤).

---

(١) المؤمنون : ١٢ .
(٢) رواه البخارى .
(٣) ابن حبان .
(٤) البقرة ٣٣ .

وما منع إبليس من السجود لأدم إلا الاستكبار ، وذلك لكونه خُلق من نار وخلق الله آدم من طين فظن أنه أفضل من آدم .

{.. قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ}(١) وقال ﷺ "**خلقت الملائكة من نور وخلقت الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم**" .(٢)

ثم أورثه هذا الاستكبار المزيد من المعصية حتى وقع فى التهلكة وتحدى المولى بأنه سوف يضل بنى آدم كلهم ، وطلب من الله المهلة إلى يوم البعث ، وذلك بجعل البشر عبيداً له ، يغويهم ويسير بهم إلى طريق الباطل ، فطرده الله وأعطاه ما أراد وجاء فى القرآن هذه القصة كالآتي :

{قَالَ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ }(٣) وحتى هذا الطلب جاء بصيغة غير لائقة بأسلوب فظ لا يليق أن يتحدث به عبد أمام الله ولكنه هو العدو فاحذروه . ثم يقول للمولى {قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ}(٤).فلماذا يقول هنا أغويتنى ، فهل أغواه الله ؟ نعم بأنه جعل له حرية أن يسجد أولا يسجد ، ولم يجعله يسجد كرها ، ولماذا يجلس فى الطريق المستقيم ، نعم ليضل المؤمنين أما الفاسقين ، فهم على طريق الغواية طائعين ، فهو يجلس للصالحين لعله ينجح مع بعضهم . ومن هنا

(١) الأعراف ١٢ .
(٢) رواه أحمد .
(٣) الأعراف ١٤ .
(٤) الأعراف ١٦ .



يبدأ الصراع بين الإنسان وعدوه الشيطان فى حرب لا تنتهى ولا يستريح هذا الملعون إلا إذا أضل العباد وجاء بهم إلى طريق الكفر ، وأقل تقدير إلى طريق المعصية وارتكاب الكبائر.

ثم خلق الله حواء من آدم من ضلع من جنبه .

وقال تعالى : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء ..} (١).

ثم أنعم الله على آدم واسكنه الجنة هو وزوجه ، وأباح لهما من الجنة كل شيء إلا شجرة واحدة أمرهما ألا يقرباها .وقيل إن آدم سمى بهذا الاسم لأنه خلق من أديم الأرض وقيل حواء سميت بهذا الاسم لأنها خُلقت من الحى .

وقال تعالى فى أمرهما لعدم الأكل من هذه الشجرة : {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ}(٢) .

وبعض الآراء تقول إنها جنة الخلد ، وبعض الآراء تقول إن هذه جنة خلقها الله لأدم فى مكان ما على ظهر الأرض ولكن لا دليل على هذا الرأى ، إلا من قولهم إن إبليس لا يدخل الجنة ، فكيف إذاً وسوس لهما، وهذا اجتهاد من العلماء ، لا نتوقف عنده كثيراً وهو لا يضر ولا ينفع .

---

(١) النساء من الآية (١) .
(٢) الأعراف (١٩) .

ثم بعدها جاء إبليس ووسوس لهما من باب الحرص وقال لهما {.. مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ}(١) {فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا ..}(٢){.. فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ ..} (٣).

أى أن المعصية وقع فيها كلاهما ، فوقعا فى المحظور {.. وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى}(٤).

ثم تاب آدم من هذه المعصية فتقبل الله منه هذه التوبة لقوله تعالى {فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}(٥)

وقال سبحانه وتعالى لآدم وزوجته اهبطوا جميعاً إلى الأرض فيها المستقر إلى حين ، ثم تموتون ، ثم تخرجون إلى يوم البعث ، والحذر من الشيطان ولا تنسوا خطيئة أبيكم آدم التى أخرج منها من الجنة وهذا للتحذير من هذا الملعون .

وقال تعالى {قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}(٦) .

(١) الأعراف من الآية (٢٠) .
(٢) الأعراف من الآية (٢٠) .
(٣) الأعراف من الآية (٢٢) .
(٤) طه من الآية (١٢١) .
(٥) البقرة (٣٧) .
(٦) الأعراف (٢٤) .

وقال تعالى {.. فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ}[1]، ثم النصيحة الثانية وهى التحذير من العدو اللدود . {يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ..}[2]. وقال ﷺ " **خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها، وفيه تقوم الساعة ، وفيه ساعة أجابه"** . [3]

وقال ﷺ " أنه من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم ، وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة علىّ فقال له رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت يعنى بليت قال له رسول الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء" وقال ﷺ محاجه موسى لأدم . [4]

وقال ﷺ " قال موسى له أنت الذى خلقك الله بيده وأسجد لك الملائكة ، وكنت سبباً فى إخراج أولادك من الجنة ، فقال له آدم يا موسى أنت الذى اصطفاك الله برسالته وبكلامه ، أتلومنى على أمر كتبه الله علىّ قبل أن يخلقنى ، وقدره على قبل أن يخلقنى ، قال رسول الله ﷺ "فحاج آدم موسى" . [5]

---

(١) الأعراف (٢٥) .
(٢) الأعراف (٢٧) .
(٣) رواه مسلم .
(٤) سنن ابن ماجه .
(٥) رواه البخارى .

والله كرم آدم فجعل جميع الخلق يوم القيامة على هيئة آدم .

فقال ﷺ " يحشر الناس يوم القيامة ما بين السقط إلى الشيخ الفانى أبناء ثلاث وثلاثينَ فى خلق آدم وحُسنِ يوسُف وخُلقْ أيوب مكحلين ذوى أفانيين" [١]. وتأتى بعد ذلك إلى العبرات من هذه القصة وكما تحدثت من قبل أن قصص الأنبياء فى القرآن لم تأت للتسلية ولكن للعبرات والعظات فيقول المولى سبحانه وتعالى {وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} [٢]
وبقوله سبحانه وتعالى{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ ..} [٣]

وهذه العبر والعظات من قصة آدم :

١ – التحذير من الاستكبار ، فبه وقعت أول معصية للرحمن من الخلق .

٢ – التحذير من الحرص ، فهو سبب خروج آدم وزوجته من الجنة فهما حرصا على أن يكونا من الخالدين ، فوسوس لهما الشيطان دخل عليهما من هذا الباب وقال لهما { هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى} [٤]

٣ – الخوف من إبليس الملعون فهو أغوى آدم ودخل له من نقطه الضعف فعلى كل إنسان أن يقوى نقطة ضعفه باستمرار وينتبه تماماً من هذا العدو .

---

(١) ؟ الكبير .
(٢)طه (١٢٠) .
(٣) يوسف (١١١) .
(٤) طه (١٢٠) .

٤ - لابد لكل إنسان أن يعرف أنه لا يوجد شيء حرمه الله على الإنسان إلا لأنه به مفسدة للإنسان وهو ضار به ، ولا يوجد شيء أحله الله له إلا به مصلحه له ، فالله لا يعاقب الإنسان في الدنيا بالحرمان من الطيبات ، ولكن يحرم علينا الخبائث التي تضر الإنسان في الدنيا ، وكما حدث مع آدم عندما أكلا من الشجرة .

{بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ } (١)

٥- تثبيت الرسول وبيان صدق دعوته لأن من أين له أن يعرف هذه القصة مع وجود بعض الاختلافات بين قصة القرآن وقصص أهل الكتاب وهذا ما سنراه لاحقاً .

وبقى معنا موضوع بخصوص آدم هل هو نبي أم لا ورأى الأغلبية أنه نبي فعندما سُئل الرسول ﷺ عن آدم : **"يا رسول الله أنبي آدم قال نعم : قال تكلم قال كم كان بينه وبين نوح قال عشرة قرون وقال ﷺ أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، "ما من نبي منذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي ، وأنا أول من تنشق عليه الأرض ولا فخر"** (٢)

وكما جاء في حديث الشفاعة يوم القيامة . " فعن حذيفة عن أبي بكر الصديق ﷺ قال أصبح رسول الله ﷺ ذات يوم فصلى الغداه ثم جلس حتى إذا كان الضحى ضحك رسول الله ﷺ ثم جلس في مكانه حتى صلى الأولى والعصر والمغرب ، كل ذلك لا يتكلم حتى صلى العشاء الآخرة ثم

(١) الأعراف (٢٢) .
(٢) رواه الترمذي .

قام إلى أهله ، فقال الناس لأبى بكر لا تسأل رسول الله ﷺ ما شأنه صنع اليوم شيئاً لم يصنعه قط ، قال فسأله فقال نعم عرض على ما هو كائن من أمر الدنيا وأمر الآخرة فجمع الأولون والآخرون بصعيد واحد ، فقطع الناس بذلك حتى انطلقوا إلى آدم عليه السلام ، والعرق يكاد يلجمهم ، فقالوا ياآدم أنت أبو البشر وأنت اصطفاك الله عز وجل ، أشفع لنا ربك قال لقد لقيت مثل الذى لقيتم انطلقوا إلى أبيكم إلى نوح إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ، قال فينطلقون إلى نوح عليه السلام ، فيقولون أشفع لنا إلى ربك ، فأنت اصطفاك الله واستجاب لك دعاءك ، ولم يدع على الأرض من الكافرين ديارا ، فيقول ليس ذاكم عندى انطلقوا إلى إبراهيم عليه السلام ، فإن الله عز وجل اتخذه خليلاً ، فينطلقون إلى إبراهيم فيقول ليس ذاكم عندى ولكن انطلقوا إلى موسى عليه السلام ، فإن الله عز وجل كلمه تكليماً ، فيقول موسى عليه السلام ليس ذاكم عندى ولكن انطلقوا إلى محمد ﷺ فيشفع لكم ، إلى ربكم عز وجل قال فينطلق به جبريل ، فيخر ساجدا قدر جمعه ، فيقول الله عز وجل أرفع رأسك يا محمد وقل يُسمع وأشفع تُشفع ، قال فيذهب ليقع ساجداً ، فيأخذ جبريل بضيفه ، فينفخ الله ﷻ عليه من الدعاء شيئا صم يفتحه على بشروط، فيقول أى رب خلقتنى سيد ولد آدم ولا فخر وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر، حتى أنه لا يرد على الحوض أكثر مما بين صنعاء وايله، ثم يقال ادعو الصديقين يشفعون، ثم يقال ادعو الأنبياء قال فيجئ النبى ومعه الصحابة والنبى ومعه الخمسة والستة والنبى وليس معه أحد ثم يقال ادعو الشهداء فيشفعونه لمن أرادوا وقالوا فإذا فعلت الشهداء ذلك



قال فيقول الله ﷻ أنا أرحم الراحمين أدخلوا جنتى من كان لا يُشرك بالله شيئاً، قال فيدخلون الجنة ثم يقول الله عز وجل انظروا فى النار هل تلقون من أحد عمل خيرا قط قال فيجدون فى النار رجلاً فيقول له هل عملت خيراً قط فيقول لا غير أنى كنت أسامح الناس فى البيع والشراء، فيقول الله عز وجل اسمحوا لعبدى كسماحه إلى عبيدى، ثم يخرجون من النار رجلاً، فيقول له هل عملت خيراً قط، فيقول لا غير إنى قد أمرت ولدى إذا مت، فأحرقونى بالنار، ثم أطحنونى حتى إذا كنت مثل الكحل فأذهبوا بى إلى البحر فابذروني فى الريح فو الله لا يقدر على رب العالمين أبداً فقال الله عز وجل لم فعلت هذا قال من مخافتك فيقول الله عز وجل انظروا الى مُلك أعظم ملك فإن لك مثله وعشرة أمثاله، قال فيقول لم تسخر بى وأنت الملك قال وذاك الذى ضحكت منه من الضحى) [1].



(١) رواه مسلم .



قصة قابيل وهابيل

وهما أبناء آدم عليه السلام وكانت شريعة آدم أن يزوج أخت التوءم لأبناء البطن الأخرى ، فحد قابيل أخاه هابيل ، فوقعت أول جريمة على ظهر الأرض ، وأرسل الله غرابا يبحث فى الأرض ليرشده لطريقة دفن أخيه فى الأرض وبعدها ندم على ما فعل .

وقال ﷺ **"لا تُقْتَل نفساً ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل"** (١). ويقول ﷺ **" إذا التقيا المسلمان بسيفهما، فالقاتل والمقتول فى النار ، قالوا يا رسول الله هذا القاتل ، فما بال المقتول قال إنه كان حريصاً على قتل صاحبه،"** (٢) ويقول المولى عن قصة ابن آدم فى القرآن الكريم {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ }(٣) {فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۞ فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ} (٤)

والعبرات المأخوذة من هذه القصة :

١ - الحسد أصل البلايا ، وبه وقعت أول جريمة على وجه الأرض .

٢ - التقوى سبب لقبول العمل .

٣ - حرمة دم ابن آدم وسوء هذه الجريمة وبها الخسران الكبير .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) ابن ماجه .

(٣) المائدة (٢٧) .

(٤) المائدة (٣٠، ٣١)

قصة آدم فى
الكتاب المقدس

وتبدأ قصة آدم فى الكتاب المقدس .

"وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض ، ونفخ فى أنفه نسمه حياه فصار آدم نفساً حية ، وغرس الرب الإله جنة فى عدن شرقاً ، ووضع هناك آدم الذى جبله ، وأنبت الرب الأله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل ، وشجرة الحياة وسط الجنة ، وشجرة المعرفة معروفة بالخير والشر ، وكان نهر يخرج من عدن ليسقى الجنه ، ومن هناك قسم فيصيرا أربعة رؤوس أسم الواحد ميثون ، وهو المحيط يجمع أرض الحوقله حيث الذهب ، واسم النهر الثانى جبحون ، وهو المحيط بجميع أرض كوش ، واسم النهر الثالث حداقل وهو الجارى والنهر الرابع الفرات " واخذ الرب الإله آدم في جنة عدن ليعملها ويحفظها ، وارض الرب الإله آدم قائلا من جميع شجرة الجنه نأكل أكلا ، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكلا منها ، لأنك يوم تأكل منها تموت وقال الرب الإله أو ليس جيدا أن يكون آدم وحده فأضع له معيناً نضير، فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام، فأخذ أحد أضلاعه وملأ مكانه لحماً، وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم " (١)

---

(١) سفر التكوين ٢ : ٧ إلى ١٨، من ٢٢،٢١.

(*) فما المقصود بشجرة المعرفة، ومعرفة لمن، ولمن غرسها الله بعد ذلك جاءت هذه النصوص انهما أكلا منها فلم يموتا فهل نسمى هذا استهزاء من الله بهما ؟ مع ان الله حذرهما من الأكل من الشجرة حتى لا يموتا كما تتحدث النصوص عن هذا التحذير .

وتبدأ هنا فى هذه النصوص قصة الخروج من الجنة :

" وكان الحية أصيل جميع حيوانات البرية التى عملها الرب الإله فقالت للمرأة " أحقاً قال الله لا تأكلا من شجرة الجنة فقالت المرأة للحية من ثمر الجنة فأكل، وأما الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله " لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا، فقالت الحية للمرأة لن تموتا بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تفتح أعينكما وتكونا عارفين الخير والشر، فرأت المرأة أن الشجرة بهية للنظر، فأخذت من ثمرها وأكلت، وأعطت رجلها منها فأكل، فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان محاطان بأوراق وصنعا لأنفسهما مئزرا .

وسمعا صوت الرب الإله ماشياً فى الجنة عند هبوب ريح النهار فأختبأ أدم وامرأته من وجه الرب الإله فى وسط شجرة الجنة، فنادى الرب الإله أدم، وقال له أين أنت، فقال سمعت صوتك فى الجنة فأختفيت لإنى عريان، هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها فقال آدم " المرأة هى التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت، فقال الرب الإله للمرأة " **ما هذا الذى فعلت** " فقالت المرأة " **الحية أغرتنى فأكلت** " فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا، ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية على بطنك تسعين وتراباً تأكلين كل أيام حياتك، وأضع عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها، هو يسحق رأسك، وأنت تسحقين عنقه "(١)

(١) تكوين ٣ من ١إلى ١٥ .

ودعا أدم اسم امرأته حواء " لأنها أم كل حى، وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما. (١)

وقال الرب الإله " هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر " والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد " فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التى أخذ منها "(٢) .

۞۞۞

---

(١) تكوين ٣ من ٢٠إلى ٢١ .

* نتعجب الله يتحسس آدم وحواء فى الجنة ولا يعرف أين هما، والحية وسوست لهما فهل الحيوانات تتكلم .

** طرد الله آدم من الجنة لأنه أصبح عارفاً الخير والشر، فخشى الله أن يبقى فى الجنة ويأخذ من شجرة الحياة ؟ أمرا حيا، فهذا استخفاف بالعقول .

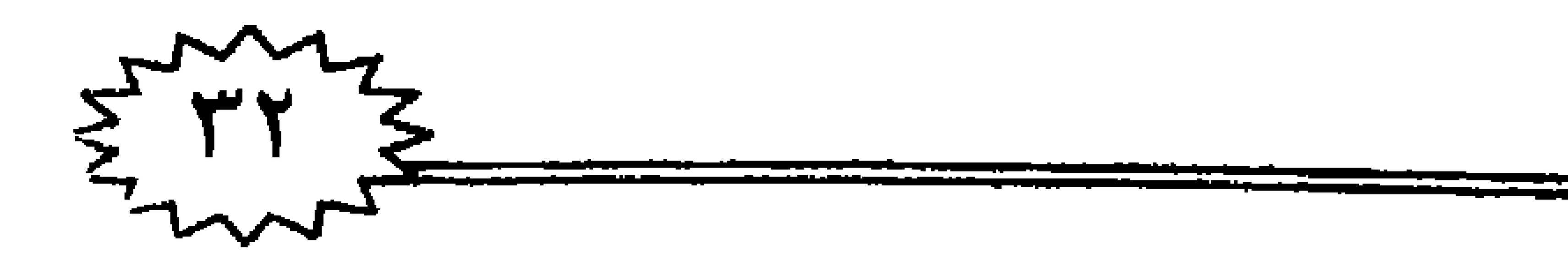
*** وهل يعقل أن خالق الكون يجلس ليصنع لهما قمصان تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

(٢) تكوين ٣ من ٢٢،٢٣ .

قصة قابيل وهابيل
فى الكتاب المقدس

" وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قابين وقالت له أقتنيت رجلاً من عند الرب " ثم عادت فولدت أخاه هابيل وكان هابيل راعياً للغنم وكان قابين عاملاً فى الأرض، وحدث من بعد أيام أن قابيل قدم من ثمر الأرض قرباناً للرب، وقدم هابيل أيضاً من أبكار غنمه ومن سمائها فنظر الرب إلى هابيل وقربانه، ولكن إلى قابين وقربانه لم ينظر، فاغتاظ قابيل جداً، وسقط وجهه، فقال الرب لقابيل "لم اغتظت" ولماذا سقط وجهك، إن أحسنت أفلا لرفع، وإن لم يحسن فعند الباب خطية رابضة وإليك اشتياقها وأنت تسود عليها "وكلم قابين هابيل أخاه، وحدث إذ كانا فى الحقل أن قابين قام على هابيل أخيه وقتله، وقال الرب لقابين " أين هابيل أخوك "، فقال " لا أعلم أحارس أنا لأخى" فقال لماذا فقلت صوت دم أخيك صارخ إلى من الأرض، الأن ملعون أنت فى الأرض التى فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك، متى عملت الأرض، لا تعود بفطنك قوتها، فإنها وهارباً تكون فى الأرض " فقال قابين للرب " ذنبى أعظم من ان يحتمل " إنك قد أجزيتنى من وجه الأرض ومن وجهك أختفى وأكون تائهاً، وهارباً فى الأرض، فيكون كل من وجدنى يقتلنى، فقال له الرب لذلك كل من قتل قابين فسبعة أضعاف ينتقم منه وجعل الرب لقابيل علامة لكى لا يقتله كل من وجده، فخرج قابين من لدن الرب وسكن فى أرض نود شرقى عدن .

❂❂❂



قصة إدريس

لم يأت ذكر سيدنا إدريس فى القرآن الكريم إلا مرتين فى قوله تعالى : {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا۝ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا}(١) وقوله تعالى : {وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ }(٢)

وقيل إن إدريس هو أول من خط بالقلم .

ولم يأت ذكر لإدريس فى الكتاب المقدس مع أن نصوص الكتاب المقدس ذكرت نسب نوح إلى سيدنا آدم بالتفصيل.

وبالنسبة للمكان العالى الذى رفعه إليه هو ما جاء فى حديث المعراج ومثل أيضاً أن إدريس هو جد نوح عليه السلام وعن أنس بن مالك " ومما جاء فى حديث المعراج أن رسول الله ﷺ قال أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم فى المسجد الحرام فقال أولهم، أيهم هو فقال أوسطهم هو خيرهم فقال آخرهم، خذوا أحدهم فكانت تلك الليلة، فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فهو بقلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فلم يكلموه حتى احتملوه، فوضعوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم بيده، حتى نقى جوفه، ثم أتى بطست من ذهب فيه نور من ذهب، محشواً إيماناً وحكمة، فحشى به صدره ولفا يده، يعنى عروق خلقة ثم أطبعه ثم عرج به إلى السماء الدنيا فضرب باباً من أبوابها فناداه أهل السماء من هذا قال جبريل : قالوا من معك قال معى

(١) مريم (٥٦، ٥٧) .
(٢) الأنبياء (٨٥) .

محمد قال : وقد بعث قال : نعم قالوا : مرحباً به وأهلاً، واستبشر به أهل السماء : لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به فى الأرض حتى يعلمهم، فوجد فى السماء الدنيا أدم فقال له جبريل هذا أبوك فسلم عليه سلم عليه ورد عليه أدم وقال : مرحباً وأهلاً بالنبى نعم الابن أنت : فإذا هو فى السماء الدنيا بنهران بطراسة فقال ما هذان النهران يا جبريل قال هذا النيل والفرات، ثم مضى به فى السماء، فإذا هو بنهر آخر عليه نصر من لذلك زبرجة فضرب بيده فإذا هو أمسك أذخر قال : ما هذا يا جبريل مال لهذا الكوثر الذى حباك به وبك، ثم عرج به إلى السماء الثالثة فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الأولى : من هذا قال جبريل قالوا من معك ؟ قال محمد قالوا وبعث إليه قال : نعم قالوا مرحباً به وأهلاً ثم عرج به إلى الرابعة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى السماء الخامسة ثم السادسة ثم عرج إلى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك فى كل سماء منها أسماء قد سماهم منهم إدريس فى الثانية وهارون فى الرابعة وأخرى فى الخامسة لم أحوط اسمه إبراهيم فى السادسة وموسى فى السابعة يتفضل كلام الله فقا لموسى رب لم أخشى أن نرفع على أحداً ثم علا به فوق ذلك مما لا يعلمه كان به قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله فيما أوحى : إليه خمسين صلاة على أمتك فى كل يوم وليلة ثم هبط حتى بلغ موسى فاجتنبه موسى فقال يا محمد ماذا عهد إليك ربك قال : " عهد إلى خمسين صلاة كل يوم وليلة" . قال : إن أمتك لا تستطيع ذلك، فأرجع فليخفف ربك عنهم، فالتفت النبى ﷺ إلى جبريل كأنه يستشيره فى ذلك، فأشار إليه جبريل أن نعم إن شئت، فقال يارب خفف عنا لأن أمتي لا تستطيع " وعاد عدة

مرات ثم بعد ذلك حتى بلغت خمس صلوات فقال المولى " يا محمد قال لبيك وسعديك " قال : أنه لا يبدل القول لدى، كما فرضت عليك فى أم الكتاب وهى خمس عليك، فرجع إلى موسى فقال ارجع إلى ربك ليخفف عنك قال أيضاً قال رسول الله ﷺ : **يا موسى قد والله استحيت من ربى مما اختلف إليه " قال فاهبط باسم الله قال واستيقظت وهو فى المسجد الحرام "**[1] .

ooo

(١) سنن النسائى .

قصة نوح فى القرآن الكريم

عاشت البشرية تعبد الله منذ أن خلق الله آدم حتى حادوا عن الطريق بعد ذلك بحوالى عشرة قرون أرسل الله إليهم فقال ﷺ " **عندما سُئل أنبى كان آدم قال نعم، قال ثم كان بينه وبين نوح قال عشرة قرون**"[(١)] .

وقال ﷺ أيضاً " كل الأنبياء من بنى إسرائيل إلا عشرة نوح وصالح وهود ولوط وشعيب وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ومحمد عليهم الصلاة والسلام، ولم يكن له اسمان إلا إسرائيل، وعيسى فإسرائيل هو يعقوب، وعيسى هو المسيح "[(٢)] .

ثم ماذا بعد ذلك عبدوا الأصنام وكيف تم ذلك زين الشيطان أن يصنعوا لعلمائهم وللصالحين منهم مجالس ليذكروهم، وبعد ذلك ذهب العلم فعبدوا هذه الأصنام .

وجاءت هذه القصة فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : كما يقول قوم نوح {وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا}[(٣)] .

وقال ﷺ " هذه أسماء صالحين من قوم نوح فلما اهلكوا أوصى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصاباً، وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم يعبدوهم حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عُبدت"[(٤)] .

---

(١) رواه الحاكم .

(٢) رواه الحاكم .

(٣) نوح : ٢٣ .

(٤) رواه البخارى .



فأرسل الله لهم نوح وهو من أولى العزم من الرسل وقال عنه سبحانه وتعالى " {.. إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا}(١)

وقال ﷺ " كان نوح إذا خصم طعاماً أو لبس ثوباً حمد الله فسمى عبداً شكوراً "(٢)

ولبث سيدنا نوح يدعو إلى الله زمناً طويلاً فعمر سيدنا نوح هو ٩٥٠ سنة

وقال تعالى : {.. فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ..} (٣)

ولكن حال الكفار لا يتغير، أبو إلا صدوداً عن دعوة الحق .

وحال المكذبين مع كل نبى، فماذا قالوا له .

{فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ..}(٤)

فهؤلاء الجهلة اعتقدوا أن هذه النبوة وأتباع الأنبياء لابد أن يكونوا من علية القوم ولكن جميع دعاوى الأنبياء واحدة لا فرق بين إنسان وإنسان إلا بالتقوى . فهذا هو ميزان التفاضل بين الناس فى كل رسالات السماء .

ولكنهم أصروا على الكفر وقالوا عن نوح :{.. مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ} (٥)

---

(١) الإسراء (٣) .

(٢) رواه الحاكم .

(٣) العنكبوت .

(٤) هود ٢٦ .

(٥) القمر ٩ .

وتحدوا نوح بل فى واقع الأمر هم تحدوا المولى سبحانه وتعالى وقالوا {قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}(١)

ولكن سيدنا نوح عندها دعا على قومه .

{وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا}(٢)

وقال ﷺ يأتى بنوح يوم القيامة، فيقول له هل بلغت فيقول نعم يارب، فيسأل أمته هل بلغكم، فيقولون ما جاءنا نذير ويقول من يشهد، فيقول محمد وأمته، فيجاء بكم فتشهدون ثم قال رسول الله ﷺ " **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول شهيداً عليكم** " (٣)

وجاء الأمر الإلهي لسيدنا نوح بصنع السفينة فكانوا يمرون عليه ويسخرون منه ويضحكون عليه، فهذا يصنع سفينة فى مكان لا ماء فيه، وكانت سفينة عملاقة بالنسبة لهذا الزمن، وحتى جاء الأمر الإلهي لسيدنا نوح، بأنه عندما يفور التنور ويخرج الماء من مكان النار فعليه أن يحمل من كل زوجين اثنين إلا من سبق عليه القول، ومن آمن معه ولم يؤمن إلا قليلا، ثم جاء أمر المولى للسماء أن تفتح أبوابها فينزل الماء وأن تتفجر الأرض ماء، ولم يقل المولى من الأرض ولكن الأرض وأبواب السماء للدلالة على نزول الماء بشدة كل الأرض يخرج منها الماء وكل

---

(١) هود ٣٢ .

(٢) نوح ٢٦ .

(٣) رواه البخارى .

السماء يسقط منها الماء وركب سيدنا نوح ومن معه فى الفلك، وأغرق الله الكافرين حتى أبن سيدنا نوح كان مع الكافرين، وبعدها جاء أمر للسماء أن تتوقف، والأرض بأن تبتلع ماءها، واستوت السفينة، على حبل الجودى ولم ينج من هذا العقاب إلا نوح ومن معه من المؤمنين وأغرق الله الكافرين .

وجاءت قصة نوح فى قول المولى سبحانه وتعالى :

﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1]

وسئل الرسول ﷺ عن صوم اليهود فى يوم عاشوراء، فقالوا هذا اليوم الذى نجى الله موسى وبنى إسرائيل من الفرق، وأغرق فيه فرعون، وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودى فصامه نوح وموسى شكراً الله فقالى

---

(١) هود ٤٤ .



النبى ﷺ أنا أحق بموسى وأحق بصوم هذا اليوم فأمر أصحابه بالصوم "[١] .

وعاش نوح بعد ذلك فى سلام وأمان، ومن أبناء نوح من نجى معه حام ويافث وسام .

وقال ﷺ " **إن العرب بنو سام بن نوح وإن الروم بنو يافث من نوح وإن الحبشة بنو حام بن نوح** "[٢]. وعاش نوح ما بقى له من الأيام، وكل من على الأرض على الفطرة السليمة توحيد لله وشكر لنعم الله عليهم أنه لم يغرقهم .

وقال ﷺ " **ألا أخبركم عن الدجال حديثاً ما حدثه نبى قبلى، أنه أعور وأنه يجئ معه الجنة والنار، فالتى يقول أنها جنة هى النار وإني أنذركم به كما انذر منه نوح** "[٣]

ويبقى لنا مع نوح قصة حياته مع امرأته التى جاء ذكرها فى القرآن {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ}[٤]

فهنا خيانة فى العقيدة لم تؤمن بدعوة نوح وكانت مع الكافرين، بل كانت تقول لقومه إنه مجنون .

---

(١) رواه احمد .

(٢) الضرانى فى المعجم الكبير .

(٣) رواه احمد .

(٤) التحريم ١٠ .

وأوصى نوح عند موته ابنه، فقال له كما قال رسول الله ﷺ " **قال نوح لأبنه إني قاص عليك وصية أمرتك باثنين ونهيتك عن اثنتين آمرك بلا إله إلا الله، فإن السموات والسبع والأرض السبع لو وضعت في كفه ووضعت لا إله إلا الله في كفه رجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السموات السبع والأرض السبع كن كحلقة مبهمة ضمن لا إله إلا الله ، وسبحان الله والحمد لله فإن بها صلات كل شيء وبها يرزق الخلق وأنهاك عن الشرك والكبر** "[1].

العبر والعظات من قصة نوح :

١- أن الماء والمطر كما هو أصل الحياة نعمة لا تقدر بثمن إلا أن الماء كان به هلاك وإغراق الغابرين، وهذا الأمر أصبح قريبا منا في هذه الأيام فهذه درجة حرارة الأرض ترتفع وخطر ذوبان المحيط المتجمد الشمالي والجنوبي وبها إغراق للأرض مرة ثانية .

٢- لا تنفع شفاعة لكافر ولو كان ابن نبي لا يقبلها الله أبدا .

٣- حال الكافرين اليوم الاستهزاء بالمسلمين، والصد عن دعوة الرسول ﷺ ولكن حلم الله عليهم فبفضل الصالحين لا يهلك الله الغابرين وقال تعالى : {فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ ..} [2]

✿✿✿

---

(١) رواه الطبراني .

(٢) هود ١١٦ .

قصة نوح فى الكتاب المقدس

لا تختلف قصة سيدنا نوح فى التوراة كثيراً عن قصة نوح فى القرآن، إلا أنها شملت تفصيلات كثيرة لم يأت ذكرها فى القرآن فمثلاً نسب نوح جاء بالتفصيل منذ آدم بالسنين، وكذلك أبعاد السفينة التى صنعها سيدنا نوح وكذلك زمن سير السفينة فى الماء، وكذلك مكان رسو السفينة، واختلفت القصة عن القرآن الكريم أن جميع أبناء نوح قد نجوا، وكذلك امرأة نوح وهذا ما نفاه القرآن الكريم . وجاءت فى الكتاب المقدس قصة غريبة أن أبناء نوح وهم سام ويافث وحام وهذا ما جاء ذكره فى السنة المطهرة، ولكن السنة قالت إن سام هو أبو العرب وقالوا وإن ابن نوح حام ملعون من أبيه، وتبدأ قصة نوح فى التوراة كالأتى .

فقال الله لنوح " نهاية كل شر قد أتت أمامى، لأن الأرض امتلأت ظلماً منهم فها أنا أمهلكهم مع الأرض، اصنع لنفسك فلكاً من خشب جفر تجعل الفلك مساكن وتطليه من داخل ومن خارج بالقار، وهكذا تصفه ثلاث مئه ذراع(١)

" ولما كان نوح ابن ستة مائة سنة صار الطوفان الماء على الأرض فدخل نوح وابنه وامرأته ونساء بنيه معه إلى الفلك من وجه مياه الطوفان "(٢)

" و كان بنو نوح الدين خرجوا من الفلك ساماً وحاماً ويافث وحام هو أبو كنعان، هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح ومن هؤلاء تشعبت كل الأرض،

---

(١) تكوين ٦ من ١٣ – ١٥ .

(٢) تكوين ٧ ٦ – ٧ .

وابتداء نوح يكون فلاحاً وعرس كرماً، وشرب من الخمر، نشكر العرى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه، وأخذ أخوته فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وستروا عورة أبيهما، ووجهما إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما، فلما استيقظ نوح من خمرة، علم ما فعل به ابنه الصغير فقال " ملعون كنعان" عبد العبيد يكون لأخوته وقال مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبدا لهم [(١)] .

وعاش نوح بعد الطوفان ثلاث وخمسين سنة، فكانت أيام نوح تسعمائة وخمسين سنة ومات "[(٢)]

ثم جاء ذكر أبناء نوح بعد ذلك من سام إلى إبراهيم عليه السلام .

✡✡✡

---

(١) تكوين ٩ ١٨– ٢٧ .

(٢) تكوين ٩ من ٢٨، ٢٩ .

* الملاحظ هو حشر أشياء غير مقبولة على الكنعانيين وهذا حاجة فى نفسهم حتى يزينوا الجرائم التى فعلها بنو إسرائيل بالكنعانيين بعد ذلك فى فلسطين.

وأما قول أن حام هو جد العرب فهذا غير صحيح فجد العرب هو سام كما حــدث الصادق ﷺ محمد عبد الله ورسوله .

هـــود

أرسل الله إلى قوم عاد أخاهم هود، مسكن قوم هود فى الأحقاف وهى الكثبان الرملية بغرب عدن، وأمدهم الله بأنعام وبنين، وقال تعالى :{وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ*أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ*وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ} وبدل من أن يشكروا هذه النعم طغوا وبغوا وعبدوا الأصنام والآلهة الأخرى فأرسل الله لهم هود نبياً وقال ﷺ **"عدد الأنبياء من العرب أربعة " هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر "**

وقال ﷺ **" سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم "**(١)

وجاء لهم هود يحذرهم من سوء العاقبة ويذكرهم بنعم الله عليهم فقال تعالى : {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ }(٢)

ولكن قول الغابرين معروف .{قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ}(٣) ويذكرهم نبيهم هود بما حل بقوم نوح وقال لهم نبيهم {.. وَاذكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }(٤)

وهنا وقع منهم التحدى ولو سكتوا لكان من الممكن أن لا يعذبهم الله، ولكنهم أبو إلا التحدى والعناد فى الكفر والضلال فكان لهم ما

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) هود ٦٥ .

(٣) هود ٦٦ .

(٤) الأعراف ٦٩ .

يشتهون" {قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}(١)

ولكن رد عليهم هو بلسان النبوة والشفقة عليهم من سوء مصيرهم. {قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ}(٢) وعندما جاء إليهم السحاب المحمل بالماء كالعادة ظنوا أنه ريح ممطر، ولكن سيدنا هود علم أنه ريح عذاب مستهزا بهم رداً على قولهم كما قال تعالى : {فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ..} (٣)

ولكن نبى الله هود يقول لهم لا وألف لا {.. هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ}(٤)

وجاء الريح يهلكهم جميعاً ويقول عنها المولى إنها ريح عقيم لا تأتى بخير والريح عموماً تأتى بالسحاب الممطر والخير أما هذه فلا .

فقال تعالى : {وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ۞ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ}(٥)

ويقول عنها المولى : {سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۞ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ}(٦)

---

(١) الأحقاف ٢٢ .
(٢) الأحقاف ٢٣ .
(٣) الأحقاف ٢٤ .
(٤) الأحقاف ٢٤ .
(٥) الذاريات ٤١، ٤٢ .
(٦) سورة الحاقة ٧، ٨ .

وكان الرسول ﷺ " إذا رأى سحاب من السماء، أقبل وأدبر ودخل، وتغير وجهه، فإذا أمطرت السماء سرى عنه فعرفته عائشة فقال النبى ﷺ " ما أدرى لعله كما قال قوم عاد " فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا " {فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ..}(١) وقال ﷺ " **ما أرسل الله على عاد من الريح إلا قدر خاتمى** "(٢) **والرسول ﷺ " دخل عليه سيدنا أبو بكر وقال له أراك قد شبت قال شيبتنى هود والواقعة وعم يتساءلون والشمس** "(٣) والسر فى هذا أن فى هذه السورة جاء ذكر معظم الغابرين وما حل بهم، ثم جاء الأمر الإلهي للجميع بالاستقامة فى قوله تعالى : {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}(٤)

وتبقى آية جاء ذكرها عن عاد فى القرآن الكريم وهو قول المولى سبحانه وتعالى : {وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى}(٥)

فبعض المفسرين يقول أن هناك عاداً الثانية، وهناك من يقول أنه كلما جاء أقوام بمثل ما فعل قوم عاد، فالسنة قائمة وهى هلاك هؤلاء بالريح العقيم نفس المصير، وهذا ما نراه الآن بيننا من خلال الأعاصير التى نراها تمر وهى منذرة محذرة وخصوصاً فى بلاد الظلم والتكبر .

---

(١) الأحقاف ٢٤ .

(٢) رواه الحاكم .

(٣) رواه الحاكم .

(٤) هود ١١٢ .

(٥) النجم ٥٠.

ولم يأت ذكر لقوم عاد فى الكتاب المقدس وإن دل ذلك فإنما يدل على أمرين أولهما : بطلان حجة أن الرسول ﷺ يعلمه كاهن أو راهب فمن أين أتى بهذه القصة التى ولم يعرفها أحد من أهل الكتاب من قبل .

الأمر الثانى : أن كتب أهل الكتاب تدخل فيها البشر فهم يحذفون كل أنبياء العرب، لترسيخ أن النبوات عندهم فقط، وهذا هو الطريق الذى سلكوه، لينكروا نبوة الرسول ﷺ .

وقال تعالى : {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ..}(١)

<u>أهم العبر والعظات من قصة قوم هود</u> :

١- النعمة قد تتحول إلى نقمة إذا لم يشكر إنسان هذه النعمة وإذا كفر بالنعم واغتر بها .

٢- الاستقامة هى سبيل النجاة يوم العقاب .

٣- عدم الاستكبار بالقوة المادية التى منحها الله لعباده والركون على هذه القوة، فالله تعالى يقول : {..قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ }(٢)

✿✿✿

(١) المائدة ١٥ .

(٢) فصلت ١٥ .

نبي الله صالح

أرسل الله سيدنا صالح إلى ثمود، وكانوا يسكنون فى أطراف الجزيرة العربية بالشمال، وأمدهم الله بالأموال وبرعوا فى بناء البيوت فى الجبال، وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً .

فقال تعالى : {وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الحِجْرِ المُرْسَلِينَ ۞ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۞ وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ}(١)

وسعوا فى الأرض فسادا، وأرسل الله لهم نبيهم صالح يذكرهم بعبادة الله وحده، وأرسل الله معه معجزة تؤيده، وحتى يصدقوا بدعوته، وهي ناقة تخرج لهم وسط صخرة صماء، وهم كانوا أصحاب هذه الصنعة، ويعلمون استحالة خروجها من وسط هذه الصخور، ولكنهم أبوا إلا الكفر، بل وزادوا فى طغيانهم، لدرجة أنهم عقروا هذه الناقة فأخذهم الله بعذاب من عنده .

وعندما مر رسول الله ﷺ على مساكن قوم صالح " قال ﷺ **لا تدخلوا مساكن المعذبين إلا أن تكونوا باكين فلا تدخلوها عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم** "(٢) وقال تعالى منهم : {وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۞ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}(٣)

---

(١) الحجر ٨٠، ٨١، ٨٢ .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) الصافات ١٣٧، ١٣٨ .

وتبدأ قصة أصحاب الحجر قوم صالح أو ثمود بقول المولى :

{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}(١)

{وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ}(٢)

وعندما مر رسول الله ﷺ بالحجر قال " لا تسألوا رسولكم الآيات، فهم قوم صالح سألوا الآيات، فبعث الله لهم ناقة كانت ترد من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم وردها"(٣).

وعندما نزل الرسول بأصحابه مساكن ثمود فعل أصحاب الرسول "استقوا من أبارها، وعجنوا من العجين، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهرقوا ما استقوا، ويعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التى كانت تردها الناقة " (٤)

ماذا فعل المستكبرين من قوم صالح بعد ذلك : {قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ}(٥)

---

(١) الأعراف ٧٣ .

(٢) الأعراف ٧٤ .

(٣) رواه الحاكم .

(٤) رواه مسلم .

(٥) الأعراف ٧٥ .

ولسان حال المستكبرين يقول : {قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا بِالَّذِيَ آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ}(١)

ولم يسكتوا عند هذا ولكنهم استمروا فى البغى حتى وقع منهم التحدى الأكبر منهم وفعلوا ما نهوا عنه وعقر الناقة وقام بعض الأشقياء وعقروا الناقة، وطلبوا العذاب وقالوا يا صالح أتنا بم تعدنا إن كنت من المرسلين . {فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}(٢)

ألم يصدقوا أنه من المرسلين مع هذه الآية ولكنه الاستكبار وعمى القلوب والأبصار .

فقال تعالى عن هذا الموقف : {فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ}(٣) أى أنه شرب الخمر وقتل هذه الناقة .. وقال ﷺ للإمام على " **إن أشقى الناس أحُمير ثمود الذى عقر الناقة والذى بضربك يا على على هذه يعنى قرنة حتى تبتل لحيتك من هذا الدم** "(٤)

وقال لهم نبيهم انظروا العدد، وذلك ليس بكثير، ولكن ثلاث أيام فقط وقال لهم سيدنا صالح : {فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ}(٥)

---

(١) الأعراف ٧٦ .

(٢) الأعراف ٧٧ .

(٣) القمر ٢٩ .

(٤) رواه الحاكم .

(٥) هود ٦٥ .

وبعدها ماذا حدث مع هؤلاء المكذبين الضالين وقع عليه وعد الله الحق {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ}[1] {وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ }[2]

أى أن الأرض رجت بهم رجاً ثم بعد ذلك جاءتهم الصيحة فأصبحوا فى دارهم جاثمين لا حرك .

أما العبر والعظات من قصة ثمود :

١- عدم الاغترار بالقوة المادية .

٢- لا يحب الله المجاهرين بالمعصية ولا المتحدين لله فهؤلاء لا يفلتهم الله أبداً .

٣- الحضارات مهما بلغت بلا إيمان وأخلاق فهى إلى زوال .

٤- على المصلح أن يتحمل مهما فعل به، فإن طريقة إلى الحق ظاهر وأهل الباطل إلى زوال مهما طال الزمن .

٥- التوقف عند أثار الأقدمين لأخذ العبرات والعظات .

* وقوم صالح لم يأت لهم أى ذكر فى الكتاب المقدس، وهذا يذكر ببطلان المزاعم أن القرآن مقتبس من كتب أهل الكتاب، بل نجد العكس فهو اختلاف على طول الطريق " .

✡✡✡

(١) الأعراف ٧٨ .

(٢) الأعراف ٦٧ .

نبى الله شعيب

لم يرد فى القرآن الكريم و لا فى السنة النبوية مكان قوم مدين و لا زمانهم ولكن نجد معظم النصوص تتحدث عن شعيب بعد قوم عاد وثمود ولوط .

وكانوا أهل مدنية، وكان عندهم حدائق فهم أصحاب الأيكة، وكانوا أصحاب تجارة ومعاملات واسعة ولكنهم أفسدوا فى كل شىء فى العبادة، وكذلك فى المعاملة بين الناس وكثر بينهم تطفيف الموازين، والغش فى البيع والشراء وزادوا، انهم كانوا يقعدون فى طريق المؤمنين، ليصدوهم عن الإيمان .

وأرسل الله لهم شعيب وقال عنه ﷺ " **ذاك قطب الأنبياء** ".(١)

وقال تعالى عنهم {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }(٢)

فحقوق العباد فى جميع الشرائع السماوية محترمة، والتعدى على هذه الحقوق به مفاسد كبيرة، والله سبحانه وتعالى يحذر من المطففين، ونزلت سورة كاملة تتحدث عن المطففين .

---

(١) رواه الحاكم .

(٢) الأعراف ٨٥ .

فقال تعالى : {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۞ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۞ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۞ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}(١)

وهذا حق فالذى يعتدى على حقوق العباد وهو فى غفلة عن يوم القيامة والوقوف أمام الله للحساب وخصوصاً حقوق العباد، فهى بها القصاص يوم القيامة، فالله سبحانه وتعالى قد يغفر للعباد كل ذنوبهم إلا حقوق العباد، وبها القصاص ولكن الميزان مختلف ففى الدنيا جرام ودرهم، وفى الآخرة حسنات وسيئات فيؤخذ من حسنات المعتدى وتوضع للمعتدى على حقه، وإن لم يكن للمعتدى حسنات وهذا طبيعى، فتؤخذ عندها من سيئات المظلوم وتوضع للظالم المعتدى على حق أخيه .

موازين دقيقة ولكنها صعبة، ولا يعتدى على حق إنسان فى الدنيا إلا غافل بل هو فى سبات عميق .

وماذا فعل قوم شعيب أيضاً قعدوا فى طريق المؤمنين يصدنهم عن السبيل وعن طريق الإيمان .

وقال تعالى عن هذا الموقف :{وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ..}(٢)

ولكن ازدادوا عناداً بل هددوا شعيباً والمؤمنين بالطرد من القرية أو العودة إلى الضلال الذى هم فيه {قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي ..}(٣)

---

(١) المطففين ١ – ٦ .

(٢) الأعراف ٨٦ .

(٣) الأعراف ٨٨ .

ولم يتوقفوا عند هذا بل هددوا النبى الكريم شعيب بالقتل رجما {قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ}(١)

وازدادوا استهزاء بعباده شعيب ودعوته {قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ}(٢)

وجاءت كلمة الفصل على هؤلاء البغاة ولكن الأمر معهم اختلف عن غيرهم فقد وقع عليهم ثلاث أنواع من العذاب، أخذتهم الرجفة وأخذتهم الصيحة وأخذهم عذاب يوم الظلة وهو عبارة عن نار تسقط عليهم من السماء .

وبكفرهم وعنادهم وأكلهم حقوق العباد، أخذهم نوعين العذاب، وأما الثالث فهو بناء على طلبهم فاستجاب لهم الله فقالوا : {فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاء إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}(٣)

فاستجاب لهم المولى وأعطاهم ما تمنوه مباشرة {فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}(٤)

العبر والعظات من هذه القصة :

١- التحذير من حقوق العباد فيها الخزى فى الدنيا والآخرة .

---

(١) هود ٩١ .

(٢) هود ٨٧ .

(٣) الشعراء ١٨٧ .

(٤) الشعراء ١٨٩ .

٢- العبد ليس له حرية مطلقة فى التصرف فى الأموال، ولكن هناك ضوابط شرعية لحدود هذا التصرف .

٣- مراعاة الله فى البيع والشراء .

وقال ﷺ " **البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما، وإن كتما وكذبا محيت بركة بيعها** "[١]

وقصة شعيب لم يرد لها ذكر فى الكتاب المقدس وهذا تأكيد لما سبق أن تحدثنا عنه بإلغاء ذكر الأنبياء العرب، مع أن الله لا يعذب أمه لم يرسل لها رسول {.. وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ}[٢]

٭٭٭

(١) رواه البخارى .

(٢) فاطر ٢٤ .

نبى الله لوط

ولوط هو ابن أخ سيدنا إبراهيم، وآمن بإبراهيم ثم أرسله الله إلى هذه القرية التى فعلت الفاحشة، لم يفعلها أحد من العالمين، فهم كانوا يأتون الذكران من العالمين، ويتركون الزوجات فهذا شذوذ على الطبيعة وأهلاك للحرث والنسل فهو فساد كبير .

وقال تعالى فى قصتهم وجدا لهم مع نبيهم {وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ}(١)

وكان الرد منهم كبير ومشين فى نفس الوقت فهم فى غيهم يعمهون {وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ}(٢)

وهذا هو حال الغابرين أنهم لا يعلمون أن العذاب يؤجل لهم بسبب هؤلاء الصالحين، وكان هناك مشهد آخر متعلق بهذه القصة وهو مشهد سيدنا إبراهيم مع المرسلين الذين أرسلهم الله لهؤلاء الغابرين .

وقالوا لسيدنا إبراهيم لا تخف نحن رسل ربك إلى قوم لوط، وقال إن فيها لوطا ويجادل سيدنا إبراهيم فى هذا الأمر، ولكنهم أخبروه أن لوطا وأهله من الناجين إلا امرأته مع الغابرين وأما باقى القرية فحق عليه

(١) الأعراف ٨٠، ٨١ .
(٢) الأعراف ٨٢ .

العذاب الأليم {وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ}(١)

{فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ * إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ * يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ}(٢)

ويعود بنا المشهد إلى قرية قوم لوط، وهذا المشهد عندما جاء المرسلون على هيئة رجال، وهنا شعر لوط بالضيق فى هذا الوقت، فهو أعلم بحال قومه، وفعلاً جاءوا إليه يهرعون لا. وبدأو يساومون لوطا عن ضيفه، ولكنه أبى هذا الأمر، ودافع عن ضيوفه دفاعاً شديداً ويقول هؤلاء بناتى هن أطهر لكم، وطبعاً لا يُفهم هنا أنه يعرض بناته للزنا ولكن يرشد إلى الفطرة السليمة البنات للرجال وهنا يقصد بنات القرية كلها أو هو عرض بناته للزواج ولكنهم أبو إلا ما كانوا يفعلون، وهنا يتحدث الرسل للوط بحالهم وبالمأمورية التى وكلوا بها، ويأمرون لوط بالخروج فى الصباح الباكر على ألا يلتفت منهم أحد إلا امرأته معهم فى العذاب .

وعندما جاء أمر الله حمل جبريل القرية على أحد جناحيه ثم قلبها وألقاها من شاهق ثم أرسل الله عليها حجارة من سجيل منصود وقال تعالى فى قصة لوط مع المرسلين {وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ * وَجَاءهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ

(١) هود ٦٩ .

(٢) هود ٧٤، ٧٥، ٧٦ .

فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ۞ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ۞ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ۞ قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ۞ فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۞ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ}(١)

" يقول ﷺ عن لوط " رحمه الله على لوط، إنه كان يأوى إلى ركن شديد، فما بعث الله بعده من نبى إلا فى عزوة من قومه "(٢)

وقال ﷺ " من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط، فاقتلوا الفاعل والمفعول به " (٣)

وقيل أنهما يلقيان من شاهق ثم بعد ذلك، يقذفان بالحجارة.

العبر والعظات فى هذه القصة :

أن هذه الفاحشة التى أصبح لها مكان الآن فى العالم كله، وهناك محاولة لإدخال هذه الفاحشة إلى ديار الإسلام، فهى سبب العذاب الذى حل بالغابرين، وهى من أكبر الكبائر بل مما تعجب له أن فى ديار الغرب اعترفوا بزواج هؤلاء الشواذ فهذا استهزاء بالقيم الإنسانية وبالفطرة السليمة واعتداء سافر على شرائع الله .

---

(١) هود ٧٧- ٨٣ .

(٢) رواه أحمد .

(٣) مسند الإمام أحمد .

فلابد لكل مسلم أن ينكر هذا المنكر لو بالقلب، فهذا هو أضعف الإيمان، ولا تكون هذه الأمور مصدرا للضحك فهذا موقف جد وليس بالهزل، ونسأل الله الغفور العفو والعافية وأن لا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا .

۞۞۞

نبى الله لوط فى الكتاب المقدس

تتشابه القصة بين القرآن والكتاب المقدس فى أمور كبيرة ولكنها تختلف معها فى بعض الأمور وخصوصاً قصة ابنتى لوط مع أبيها بعد هلاك هذه القرية .

وكذلك قصة أخبار الملائكة سيدنا إبراهيم فأنهم جاءوا لأهلاك هذه القرية فتقول النصوص .

" ثم قال الرجال من هناك وتطلعوا نحو سدوم وكان إبراهيم ماشياً معهم ليشيعهم، فقال الرب هل أخفى عن إبراهيم ما أنا فاعله"(١)

ثم جاءت قصة ضيفى لوط كما جاء فى القرآن إلا أن الخلاف جاء فى هذه الجزئية وهى :

" فمد الرجلان أيديهما وأدخلا لوطاً إلى البيت وأغلق الباب، وأما الرجال الذين على باب البيت فضربهما بالعمى من الصغير إلى الكبير فعجزوا عن أنه يجدون الباب، وقال الرجلان للوط من لك أيضاً ها هنا " أصهارك وبنيك وبناتك وكل من لك فى المدينة أخرج من المكان، لأننا مهلكان هذا المكان إذ قد عظم صراخهم أمام الرب فأرسلنا الرب لنهلكه، فخرج لوط وكلم أصهاره الأخذين بناته وقال " قوموا أخرجوا من هذا المكان لأن الرب مهلك المدينة " فكان كمازح فى عين أصهاره (٢)

ولكن الذى نتعجب منه هذه القصة فتقول أن لوطا وابنتيه فقط ذهبوا إلى كهف فماذا حدث .

---

(١) تكوين ١٨ من ١٦إلى ١٨ .

(٢) تكوين ١٩ من ١٠ إلى ١٥ .

" وصعد لوط من صوغر وسكن فى الجبل وأبنتاه معه، لأنه خاف أن يسكن فى صوغر فسكن فى المغاره هو وابنتيه، وقالت الكبيرة للصغيرة " ابونا قد شاخ وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض إلى هلم نسقيه خمراً ثم نضجع معه فنحى من أبينا نسلا، فسقتا أباهما خمراً فى تلك الليلة، ودخلت البكر واضجعت مع أبيها، ولم يعلم بإضجاعها ولا بقاميها، وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة إنى قد أضجعت البارحة مع أبى، نسقية خمراً الليلة أيضاً فأدخلى اضجعى معه فنحى من أبينا نسلا، فسقتا أباهما خمراً فى تلك الليلة أيضاً قامت الصغيرة واضجعت معه ولم يعلم بضجاعها ولا بقيامها .

فحبلت ابنتا لوط من أبيهما، فولدت البكر ابنا ودعت اسمه مواب وهو أبو الأوبين إلى اليوم والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه "بن عمى" وهو ابو بنى عمون إلى اليوم [١] .

✡✡✡

(١) التكوين ١٩ – من ٣٠ إلى ٣٨ .

* هذا أمر لا يقبل أن يأتى به كتاب مقدس وما هذه بسلوك أبناء الأنبياء، ولا حتى أفجر البشر فبعد، ما رأتنا هذا العذاب يبحثون عن الرزيلة وعن الزنا المحرم هذا أمر لا يصدق ولا يجوز أن يلحق بابنتى نبى أبداً سكر وبعد ذلك زنا مع المحارم فأى نبوة هذه .

إبراهيم

هو إبراهيم أبو الأنبياء خليل الرحمن {..وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً}(١)
وهو أمة {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا للهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }(٢)

وهو أستاذ مدرسة الدعوة ومناظرة المكذبين وإقامة الحجة عليهم وهو من أولى العزم من المرسل وأرسله الله إلى ناس يعبدون الكواكب وآخرين يعبدون الأصنام، وكذلك إلى من ادعى الألوهية، وتنوع أسلوب سيدنا إبراهيم فى عرض الدعوة عليهم، ودحض حجتهم بأسلوب عقلانى {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}(٣)

{إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}(٤)

ووصى بها إبراهيم أبناءه من بعده ألا يموتوا إلا وهم مسلمون {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}(٥)

وجاء سيدنا إبراهيم بالصحف لقوله تعالى : {إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ۞ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى}(٦)

---

(١) النساء ١٢٥ .
(٢) النحل ١٢٠.
(٣) ل عمران ٦٧آل عمران ٦٧.
(٤) البقرة ١٣١.
(٥) البقرة ١٣٢.
(٦) الأعلى ١٨، ١٩.

وفى شريعة سيدنا إبراهيم كان هناك صلاة وزكاة وحج لقوله تعالى {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ۞ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ}(١)

وكان سيدنا إبراهيم يدعو للحج كما أمره الله سبحانه وتعالى بعد أن رفع إبراهيم البيت فقال تعالى : {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ}(٢)

وتبدأ رحلة سيدنا إبراهيم مع المخالفين أولهما عبدة النجوم والكواكب فماذا فعل سيدنا إبراهيم اتبع معهم أسلوبا يعتبر مدرسة فى الدعوة فقال تعالى عن هذه المحاورة : {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ}(٣)

ثم جاء بعد ذلك إلى من كانوا يعبدون القمر وقال لهم هذا ربى، ثم بعد ذلك يشككهم فيم يعبدون، ويقول لهم أن هذا المعبود يذهب وإذا ذهب فمن يرعى هذا الكون و يرعانى .

{فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ}(٤)

---

(١) الأنبياء ٧٢، ٧٣.

(٢) الحج ٢٧.

(٣) الأنعام ٧٦.

(٤) الأنعام ٧٧.

ثم يأتي بعد ذلك لعبدة الشمس ويقول مثل ما قال للآخرين ولكنه أضاف لا أعبد الذى يختفي، ولكنى أعبد الباقى الذى خلق كل شىء وسخرها لنا وتتحرك فى نظام بديع .

{فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ}(١)

وفى نهاية المناظرة مع الكفرة يقول المولى عن هذه المناظرات وعن أسلوبها

{وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ}(٢)

وهذا أسلوب في إقامة الحجة على المعاندين عن طريق المجاراة ثم الإلزام، فهو جاراهم فيم يعبدون، ثم بعد ذلك ألزمهم بما توصل إليه من برهان، أى أن صوت الحق جاء من عندهم، ولم يأت بنصيحة مباشرة من الخارج، كأن هذه النصيحة وهذه النتيجة قد وصلوا إليها جميعاً بفكر جماعي وهو ما يسمى بأسلوب المجاراة بهدف الإلزام، ثم ذهب إلى أبيه وقومه وكانوا يعبدون الأصنام، ونصح أباه بأن هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر وقال لأبيه أنه جاء بعلم من الله، وحذره بأنه يسير فى طريق الضلال ويتبع الشيطان الذى هو عدو للإنسان .

وقال ﷺ " يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجهه ".

(١) الأنعام ٧٨.

(١) البخارى .

فيقول له إبراهيم الم أقل لك، فيقول إبراهيم يارب أنك وعدتنى أن لا تخزنى يوم يبعثون فأى خزى لأبى يوم يقول الله إنى حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال يا إبراهيم ما تحت رجلك فينظر فإذا هو يذبح ملطخ، فبقوا ثم قال سيدنا إبراهيم لقومه إنى سقيم أى مريض ولن أخرج معكم وكان قد اعد العدة لتحطيم الأصنام.

وقال ﷺ "**لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث مرات، قوله حين دُعى إلى الهتيم فقال أنى سقيم، وقوله فعله كبيرهم، وقوله عن ساره أنها أختى**" [١]

فماذا فعل إبراهيم بعد ذلك :

{فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۞ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۞ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ۞ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۞ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ۞ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ۞ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ۞ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ۞ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۞ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ۞ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ} [١]

وسيدنا إبراهيم حطم الأصنام بعد أن ذهبوا وترك كبيرهم وعندما رجعوا وسئلوا عن من الذى حطم هذه الأصنام شكوا من سيدنا إبراهيم لأنه تحدث عنها بسوء من قبل، ووقعت المناظرة معهم واستخدم أسلوبا آخر وهو التوسيع واستدراجهم حتى نطقت ألسنتهم بالحق، ولكن أبوا أن

---

(١) الأنبياء ٥٨ إلى ٦٨.

يؤمنوا ويرجعوا إلى طريق الحق، ولكنهم أبو ألا أن يقولوا حرقوه حتى تنتصروا لآلهتكم، وأقاموا حفرة كبيرة، وأوقدوا نارها ليلقوه فى النار، وهنا جاء له جبريل ليقول له ألك حاجة فيقول له إبراهيم بلسان اليقين وقمة التوكل على الله .

فيقول : {..حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}(1)

وقال ﷺ " **وضع الخليل ﷺ فى كفة المنجنيق مقيداً مكتوفاً ثم ألقوه فى النار فقال حسبنا الله ونعم الوكيل**"(2)

فماذا قال المولى : {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ}(3)

فلم يقل المولى برداً فقط والا يتحمل إبراهيم ولكن وأيضاً وسلاماً وقال ﷺ " **تقتل الوزغ وقال كان ينفتح على إبراهيم فى ناره** (4)

وقال أيضاً ﷺ " **إن إبراهيم حين ألقى فى النار لم يكن فى الأرض دابة ألا تطفئ عنه النار غير الوزغ كان ينفتح، عليه فأمر الرسول ﷺ بقتله** (5).

وخرج سيدنا إبراهيم من النار كانت هذه المعجزة كافية للجميع حتى يؤمنوا ولكنهم أبو إلا الكفر والضلال .

فتركهم سيدنا إبراهيم ومضى وقال إنى مهاجر إلى ربى .

---

(1) رواه البخارى.

(2) رواه البخارى .

(3) الأنبياء ٦٩.

(4) روا ه البخارى.

(5) رواه الحاكم فى المشترك.

وقال ﷺ عندما سئل بعض الصحابة قد علمنا السلام عليكم فكيف الصلاة قال قولوا اللهم صلى على محمد وعلى أل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد وأل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد "[١]

ثم تركهم سيدنا إبراهيم وذهب إلى هذا الكبير الذى أدعى لنفسة الألوهية، وكان سبب هذا الإدعاء أن الله أتاه الملك، فماذا فعل معه إبراهيم حتى يقيم عليه الحجة، أستدرجه حتى يعلن التحدى أمام الجميع .

وينصب له سيدنا إبراهيم هذا الفخ فيقع فيه هذا المتكبر فيقول سيدنا إبراهيم إن الله يحيى ويميت فقال المتكبر أنا أيضاً أحي وأميت وإن الدليل على هذا أن هذا المتكبر جاء برجلين حكم عليهما بالموت ثم بعد ذلك عفا عن أحدهما وقتل الثاني، فهذا يا أيها المتكبر قتل، ولكن هنا وقع في شر عمله، فهذا تحدي في أمر وأثبت أنه يستطيع ان يفعل كل ما يفعله الرب، فما كان من إبراهيم ألا أن قال له إذاً فإن الله يأت بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب وهنا بهت هذا المتكبر وعجز عن النطق ويقول المولى في هذه القصة :

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [٢]

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك .

(٢) البقرة (٢٥١) .

وتبدأ رحلة سيدنا إبراهيم بهجرته إلى فلسطين ونزوله ضيفاً على أهلها وبعدما بلغ سيدنا إبراهيم الكبر ولم ينجب، وكانت زوجته سارة عقيما وعجوزا، فقالت له أدخل على هذه الجارية هاجر لعل الله يرزقك منها الولد، وفعلاً أنجبت له إسماعيل، وجاء بعدد ذلك الأمر من الله أن يذهب بهذا الولد، وأمه إلى مكان البيت الحرام ثم يتركهم هناك وهنا تتجلى قيمة التوكل على الله من إبراهيم وهاجر .

فتقول السيدة هاجر لسيدنا إبراهيم الله أمرك بهذا فيقول نعم فتقول إذاً لن يضيعنا، ويتركهم سيدنا إبراهيم ويقول متضرعاً لله : {رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} (١)

وتبقى هاجر بجوار الوليد إسماعيل وبعد أن نفذ الماء والطعام وبدأ الوليد بالبكاء، وأخذت تبحث عن الماء وتصعد إلى جبل الصفا لعلها تجد قافلة أو أثر ماء ثم تعود إلى المروة سبع أشواط ثم تجلس لتستريح عند الوليد، والوليد يضرب برجله فتخرج الماء العذب من بئر زمزم، وتأتي القوافل إلى الماء ويستأذنوا السيدة هاجر في البقاء بجوار هذا البئر، وبعدها يصبح هذا الوادي به الحياة، وقبلة كل الموحدين إلى ان تقوم الساعة .

وقال ﷺ عن هذه القصة : " **وجعلت ام إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفذ ماء السقاء وعطشت وعطش ابنها وجعلت**

(١) إبراهيم (٣٧).



تنظر إليه يتلوى، فانطلقت كراهة أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب ما في الأرض منها ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحداً، وفعلت ذلك سبع مرات " (١)

وقال أيضاً ﷺ : **" رحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم أو قال لم تعرف من الماء لكانت زمزم علينا معيناً "**

ورجع بعدها سيدنا إبراهيم إلى فلسطين إلى السيدة سارة وجاءت إليه الملائكة تبشره بالولد الثاني من سارة أيضاً وأخبروه بأنهم رسل عذاب على قوم لوط .

وقال تعالى : {وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ} (٢)
{وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ} (٣)

وتعجبت امرأته من هذه البشرى ولكن هذا أمر الله لا تبديل ولا مغير لهذا الأمر وفعلاً جاء إسحاق، وتزوج إسحاق وأنجب يعقوب كما وعده الله .

ورجع سيدنا إبراهيم مرة أخرى إلى السيدة هاجر وولدها وكان هناك اختبار آخر لهذه الأسرة المؤمنة . وهي رؤية سيدنا إبراهيم في المنام أنه يذبح ابنه ورؤيا الأنبياء حق .

فقال ﷺ : **" رؤيا الأنبياء وحي "** (٤)

---

(١) رواه البخاري.
(٢) هود (٦٩) .
(٣) هود (٧١).
(٤) رواه الطبراني.

{فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} (١)

{فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ}(٢) أي شرع في قتله ووضع إسماعيل على وجهه حتى لا ينظر إليه فيشفق عليه فيرجع عن هذا الأمر .

وناداه الله عندها يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا وفديناه بذبح عظيم .

وجعل الله النُسكْ الذبح تكريماً لسيدنا إبراهيم .

ثم يأتي الأمر من الله لسيدنا إبراهيم يرفع القواعد من البيت وإسماعيل فإبراهيم لم يبن البيت، ولكن رفع البيت فوق القواعد، فالبيت كان موجودا من قبل ولكن طوفان نوح ذهب به .

وقال تعالى : {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ} (٣)

وقال ﷺ : **" يا رسول أي مسجد وضع أولاً قال المسجد الحرام قلت ثم أي قال المسجد الأقصى قلت كم بينهما، قال أربعون سنة فقلت ثم أي قال ثم حيث أدركت الصلاة فصلي فكلها مسجد "** (٤)

وأثبت العلم الحديث أن مركز الأرض هو المسجد الحرام تماماً وجعلها الله قبلة المسلمين .

---

(١) الصافات (١٠٢).

(٢) الصافات (١٠٣).

(٣) آل عمران (٩٦).

(٤) رواه البخاري .

وقال تعالى في قصة بناء المسجد الحرام : {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (١)

وهذا المسجد هو والمسجد الأقصى الذي سماهما الله، فكل بيوت الله في الأرض تسمى بمعرفة الناس إلا المسجد الحرام والمسجد الأقصى كانا البيت الحرام وبيت المقدس حتى قال المولى :{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى } (٢)

ثم جاء الأمر من الله إبراهيم بأن ينادي للحج إلى البيت الحرام وقال عليك النداء وعلينا البلاغ.

وقال تعالى : {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ}

وقبل أن يرحل سيدنا إبراهيم دعا الله أن يرسل لأمته رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آيته ويزكيهم وقال :

{رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ} (٣)

وقال ﷺ :" **أنا دعوه أبي إبراهيم وبشرى أخي عيسى ورؤية أمي** "

واللطيفة أخرى هنا وهو أن الناس يطوفون ليلاً نهاراً بلا توقف حول بيت الله في الأرض، والملائكة تطوف في السماء حول البيت المعمور فوق الكعبة والطواف على مدار الساعة حتى تقوم الساعة .

---

(١) البقرة (١٢٧).

(٢) الإسراء (١).

(٣) البقرة (١٢٩).

العبر والعظات من قصة سيدنا إبراهيم كثيرة جداً نركز على أهمها :

١- فهو مدرسة التوكل على الله وكذلك زوجته هاجر .

٢- مدرسة العقل وخصوصاً مع المتكبرين .

٣- مدرسة الدعوة إلى الله بالمناظرات وطريقة المناظرة .

٤- مدرسة الطاعة وامتثال الأوامر الإلهية حتى ولو كانت شاقة على النفس، بل حتى ولو كانت في ظاهرها العذاب كأمر الله إبراهيم يترك الولد والزوجة في الصحراء الجرداء .

٥- تبرأ الابن الصالح من الأب المخالف، وأنه لا تنفع شفاعة مع الكفر حتى ولو كانت شفاعة نبي .

٦- العقيدة كل لا يتجزأ فلا ينطبق عليها مبدأ التدرج، فهي تقبل أو تترك ولا يوجد ألتقاء بين الكفر والإيمان .

٧- ترك كل القصص والأساطير حول سيدنا إبراهيم التي لا تنفع بشيء والتركيز مع قصص القرآن وما فيها من مواعظ وعبر .





قصة سيدنا إبراهيم
في الكتاب المقدس

جاء في الكتاب المقدس نسب سيدنا إبراهيم بن سام بن نوح وكذلك بالتواريخ، وجاء في التوراة أن إبرام كان اسمه إبرام .

وجاء الوحي إلي إبراهيم يقول " اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك، فأجعلك أمه عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة، وأبارك مباركيك ولا عينك ألعنهم وتبارك فى جميع قبائل الأرض، ثم ظهر الرب لإبرام، وقال النسلك أعطي هذه الأرض " وتبنى هناك مذبحاً للرب (١).

وجاء بعد ذلك رحيل إبراهيم إلى مصر ثم مفارقة لوط له وذهاب لوط إلى سدوم، ووعود الرب لإبراهيم مرة أخرى للأرض لنسله، وفي ذلك اليوم قطع الرب مع إبراهيم ميثاقاً قائلاً لنسلك أعطى هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات " (٢)

وجاءت قصة هاجر وإسماعيل في التوراة هكذا

"أما ساراى امرأة إبراهيم فلم تلد له وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر، فقالت ساراى لإبراهيم " هو ذا الرب قد أمسكني عن الولادة ادخل على جاريتي لعلي أرزق منها ببنين "، فسمع إبرام لقول ساراى، فأخذت ساراى امرأة إبراهيم هاجر المصرية جاريتها، من بعد عشر سنين لإقامة إبراهيم في أرض كنعان، وأعطيتها لإبرام رجلها زوجة له، فدخل

---

(١) تكوين ١٢ من ١: ٤.

(٢) تكوين ١٥ من ١٨ : ١٩.

على هاجر حبلت، ولما رأت أنها حبلت صعدت إلى حصنك، فلما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها في عينها، يقص الرب بين أيديك فقال إبراهيم لساراى " هو ذا جاريتك في يدك افعلي بها ما يحسن في عينك فأذلتها ساراى، فهربت من رجلها فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البريه على العين التي في طريق شور، وقال يا هاجر جارية ساراى من أين أتيت وإلى أين تذهبين فقالت أنا هاربة من وجه مولاتي ساراى .

فقال لها ملاك الرب ارجعي إلى مولاتك واخضعي تحت يديها، وقال لها ملاك الرب " ها أنت حبلى فتلدين ابناً وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمولاتك، وأنه يكون إنساناً وحشياً، يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه، وأما جمع اخوته يسكن فدعت اسم الرب الذي تكلم معها " أنت إيل رؤى "

فولدت هاجر لإبراهيم ابناً ودعا إبراهيم اسم ابنه الذي ولدته هاجر "إسماعيل " وكان إبراهيم ابن سنة وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لإبراهيم " [١].

ظهور الرب لإبراهيم :

" ولما كان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لإبراهيم وقال له " أنا الله القدير سر أمامي وكن كاملاً، فاجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً "، فسقط إبراهيم على وجهه وتكلم الله معه قائلاً " أما أنا فهو ذا عهدي معك، وتكون أبا لجمهور من الأمم، فلا يدعى اسمك وبعد إبرام بل يكون اسمك إبراهيم لأني جاعلك أبا لجمهور من الأمم،

(١) تكوين ١٦ من ١: ١٦.



وأثمرك كثيراً جداً وأجعلك أمما وملوكاً منك تخرجون، وأقيم عهدي بيني وبينك وبر نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً، لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً وأكون إلههم . (١) *

ثم جاءت رؤيا إبراهيم وظهر له الرب وقال له .

" في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلاً " لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات، والقينيين القزيين والقدمونيين، والحثيين والفرزيين والرفائيين والأموزيين والكنعانيين والجرجاشين والبووسيين " (٢) .

" وقال الله لإبراهيم " ساراى امرأتك لا تدعو اسمها ساراى بل اسمها سارة، وأباركها وأعطيك أيضاً منها ابناً أباركه فتكون أمماً وملوكاً وشعوبا منها يكونون، فسقط إبراهيم على وجهه وضحك وقال في قلبه هل يولد لابن مائة سنة وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة، وقال إبراهيم لله " ليت إسماعيل يعيش أمامك، فقال الله " بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحاق وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله بعده، وأما إسماعيل فقد سمعت لك منه ها أنا أباركه وأثمر وأكثر كثيراً جداً اثني عشر رئيساً ويلد وأجعله أمة كثيرة . (٣)

وبعد ذلك جاءت قصة زوار إبراهيم الملائكة الذين أرسلهم الله إلى إبراهيم ليخبروه بهلاك قوم لوط ولكن هنا اختلفوا عن القرآن

(١) تكوين ١٧ من ١: ٩.
(٢) تكوين ١٥ من ١٨ : ٢٢ .
(٣) تكوين ١٧ من ١٥: ٢٠.

الكريم في أن الملائكة أكلوا وشربوا وهذا أمر غير مقبول عقلاً ولا بأى نقل صحيح .

" وأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال أسرعي بثلاث كيلات دقيقاً وسميداً اعجني واصنعي حزمله، ثم ركض إبراهيم إلى البقر وأختار عجلاً وأعطاه

للغلام فأسرع ليعمله، ثم أخذ زبداً ولبناً والعجل الذي عمله ووضعها قدامهم وبدا كان هو واقفاً ليدهم بحيث أكلوا وقالوا له أين سارة امرأتك، قال هنا هي في الخيمة، فقال إلى ارجع إليك نجو زمان الحياة ويكون لسارة امرأتك ابنا ". (١)

ثم جاءت بعد ذلك قصة طرد هاجر وإسماعيل بناء على طلب سارة

" ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يخرج، فقالت لإبراهيم " اطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع أبني إسحاق، فقبح الكلام جداً في عقل إبراهيم نسب أبيه فقال الله لإبراهيم " لا يقبح في عينيك من أجل الكلام ومن أجل جاريتك في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها لأن بإسحاق تدعى لك نسل فبكر إبراهيم صباحاً وأخذ خبزاً وقربه ماء وأعطهما هاجر واضعاً إياهما على كتفها، والولد وصرفهما، فمضت وتاهت في برية بئر سبع، ولما خلا الماء من القربة وضعت الولد تحت أحد الأشجار ومضت وجلست مقابلة بعيداً نحو رميه قوس لأنها قالت " لا أنظر موت الولد " فجلست مقابلة ورفعت صوتها وبكت، فسمع الله صوت الغلام ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال

---

(١) تكوين ١٨ من ٦: ٩ .



لها " مالك يا هاجر لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو، قومي واحملي الغلام وسدي يديك به لأني سأجعله أمه عظيمة " [1].**

وجاء في قصة الذبيح في الكتاب المقدس على إنه إسحاق .

" وجدت بعد هذه الأمور أن الله أمتحن إبراهيم فقال له يا إبراهيم فقال هاأنذا، فقال " خذ ابنك وحيدك الذي انجبته إسحاق واذهب إلى أرض المريا، وأصعده هناك محرمة على أحد الجبال أقول لك " فبكر إبراهيم صباحاً وشد على حماره، وأخذ أثنين من غلمانه معه ، وإسحاق ابنه وشقق حطباً لمحرقه وقام وذهب إلى الموضع الذي قال له الله، وفي اليوم الثالث رفع إبراهيم عينيه وأبصر الموضع من بعيد، فقال إبراهيم لغلاميه " أجلسا أنتما هاهنا مع الحمار، وأما أنا والغلام فنذهب إلى هناك ونسجد ثم نرجع إليكما، فأخذ إبراهيم حطب المحرقة ووضعه على إسحاق ابنه وأخذ بيده النار والسكين فذهب كلاهما معاً وكلم إسحاق إبراهيم أباه وقال يا أبي فقال هاأنذا يا بني فقال هو ذا النار والحطب فأين الخروف للمحرقة .

فقال إبراهيم له " الله يرى له الخروف للمحرقة يا ابني "، فذهبا كلاهما فلما أتيا إلى الموضع الذي قال الله بني هناك يا إبراهيم المذبح ورتب الحطب وربط إسحاق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب ثم مد إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه، فناداه ملاك الرب من السماء، وقال "إبراهيم وإبراهيم فقال هاأنذا فقال " لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً لأنى الآن علمت أنك حائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عني، فرفع

---

(١) تكوين ٢١ من ٩: ١٨.



إبراهيم عينيه ونظر فإذا كبش وراءه ممسكاً في الغابة بقرنيـــه، فـــذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع " يهوه إيراه" حتى إنه يقال اليوم " في جبل الرب يرى " (١) .

قصة أن الذبيح هو إسحاق باطلة حتى في الكتاب المقدس فكيف يكون ذبيح وهناك يوجد نص في الكتاب المقدس نفسه يعد إبراهيم بإسحاق ومن وراء إســحاق نسل كثير ثم يأتي ليأمره يذبح هذا الغلام هذا تناقض كبير وهذا النص " قال الله بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحاق وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده " (٢)

ثم بعد ذلك النص والأمر بالذبيح لابنك الوحيد وكيف هــو وحيــد وجاء في النصوص السابقة أن لإبراهيم ابنا بكر اسمه إســماعيل مــن الجارية المصرية هاجر وجاء ذكره من قبل .

* النصوص تتوالى عن ميراث الأرض لأبنائك من بعــدك فــأي الأبناء لم يوضح، وهل الأرض تُورث لأي إنسان إن الله يُــرث الأرض للصالحين وأي أرض هذه هل يعطي الله الأرض التي كان سيدنا إبراهيم ضيفاً على أهلها لأحفاده من بعده وهل أمرهم المولى بطرد أهلها منها أم ماذا ؟

و أليس من أبناء إبراهيم إسماعيل أيضاً ويستحق هذا الميراث .

---

(١) تكوين ٢٢ من ١: ١٥ .

(٢) تكوين ١٧ : ٢٠

** قصة طرد هاجر بأمر سارة غير مقبولة بالنسبة لنبـــي كــريم أرسله الله ثم يظلم بعد ذلك أم ولده هذا أمر لا يقبل ولا يليق بنبـــي أبــو الأنبياء خليل الرحمن أبداً .

ثم جاء بعد ذلك في الكتاب المقدس ذكر موت سارة ثم مات خليل الرحمن بعد أن أنجب إسحاق – يعقوب .

✡✡✡

قصة إسحاق ويعقوب في القرآن الكريم

لم يتحدث القرآن الكريم كثيراً عن إسحاق ويعقوب ولكن جاء ذكرهما في بيان عقيدتهم، وأيضاً وصيه إبراهيم لهما بالتمسك بهذه العقيدة، وبعد ذلك قصة يعقوب مع يوسف ووصيه يعقوب لأبنائه أن يموتوا وهم مسلمون .

وقال تعالى : {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} (1)

ووصيه يعقوب عند موته في قوله تعالى : {أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} (2)

وجاء ذكرهم أيضاً أنهما كانا من الصالحين وكانوا يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة فقال تعالى : {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ۞ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ} (3).

وجاء في بداية قصة سيدنا يوسف أن يعقوب أنجب ابنه يوسف وأخوته، وبشر يوسف بالنبوة عندما يقص هذه الرؤيا على أبيه، وكان

---

(1) البقرة (131، 132) .
(2) البقرة (133) .
(3) الأنبياء (72، 73) .

نبياً من الصالحين يقول لـــه يا بني لا تقصص رؤياك على أخوتك فيكيدوا لك وهذه نعمة من الله عليك كما أتمها على أبويك من قبل .

{وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (١)

وإنه كان يسمي إسرائيل ولنا في ذلك شواهد مـــن قـــول موســـى لفرعون أن أرسل معي بني إسرائيل، وهذا بالنسبة لسيدنا يعقوب .

✿✿✿

(١) يوسف (٦) .



قصة إسحاق ويعقوب

في الكتاب المقدس

وتبدأ قصة إسحاق مع هذا النص العجيب في حوار سيدنا إبراهيم مع عبده كبير بيته المسئول عن كل شيء فيبدأ النص مع الآتي :

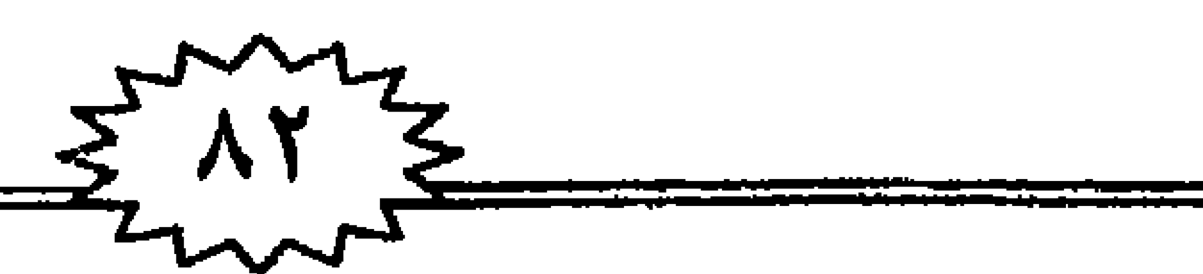
"وشاخ إبراهيم وتقدم في الأيام، وبارك الرب إبراهيم في كل شيء وقال إبراهيم لعبده كبير بيته المسئول على كل ما كان له " ضع يدك تحت فخذي "، فأستحلفك بالرب إله السماء وإله الأرض أن لا تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم بل إلى أرض وإلى عشيرتي فتذهب وتأخذ زوجة لابني إسحاق، فقال له العبد " ربما لا تشاء المرأة أن تتبعني إلى هذه الأرض، فهل أرجع بابنك إلى الأرض التي خرجت منها، فقال له إبراهيم " اختر من أن ترجع بابني إلى هناك (الرب إله السماء الذي أخذني بابني إلى هناك) الرب إله السماء الذي أخذني من بيت أبي ومن أرض ميلادي والذي كلمني والذي أقسم بي قائلاً لنسلك أعطي هذه الأرض، هو يرسل ملاكه أمامك، فتأخذ زوجة لابني من هناك، وإن لم تشأ المرأة أن تتبعك، تبرأت من خلفي هذا أما أنني فلا يرجع به إلى هناك، فوضع العبد يده تحت فخذ إبراهيم مولاه وحلف له على هذا الأمر " (١)

ثم بعد ذلك ذكر أولاد إسحاق :

" وهذه مواليد إسحاق بن إبراهيم ولد إبراهيم إسحاق، وكان إسحاق ابن أربعين سنة لما اتخذ لنفسه زوجه، رفقه بنت بتوئيل الأرامي، أخت لابان الأرامي من فدان أرم، وصلى إسحاق إلى الرب لأجل امرأته لأنها كانت عاقراً، فاستجاب له الرب فحبلت رفقه امرأته، وتزاحم الولدان في

---

(١) تكوين ٢٤ من ١: ٩ .



بطنها فقالت " إن كان هكذا فلماذا أنا" فمضت لتسأل الرب فقالت " إن كان هكذا فلماذا أنا " فمضت لتسأل الرب، فقال لها الرب " في بطنك أمتـان " ومن أحشائك يفترق شعبان شعب يقوى على شعب، وكبير يستعبد الصغير " فلما كملت أيامها لتلد إذ في بطنها توأمان، فخرج الأول أحمر كله كفروه شعر، فدعو اسمه " عيسو"، وبعد ذلك خرج أخوه ويده قابضه بعقب عيسو فدعي اسمه " يعقوب " وكان إسحاق ابن ستين سنة لما ولدتهما " (١)

وتبدأ هذه القصة العجيبة في التوراة وهي مباركة أو بيعه إسحاق لابنه يعقوب وكيف خطف يعقوب هذه النبوة .

" وحدث لما شاخ إسحاق وكلت عيناه عن النظر أنه دعا عيسو الابن الأكبر، وقال له " يا بني فقال له هأنذا فقال إنني قد شخت ولست أعرف يوم وفاتي، فالآن خذ عدتك جعبتك وقوسك واخرج إلى البرية وتصيد لي صيداً، واصنع لي أطعمه كما أحب، وأتني بها لآكل حتى تباركك نفسي قبل أن أموت .

وكانت رفقه سامعة إذ تكلم إسحاق مع عيسو ابنه فذهب عيسو إلى البرية كي يصطاد صيداً ليأتي به، وأما رفقه فكلمت يعقوب ابنها قائلـه "إني قد سمعت أباك يكلم عيسو أخاك قائلاً : أئتني بصيد واصنع لي أطعمه لآكل وأباركك أمام الرب قبل وفاتي " فالآن يا بني اسمع لقولي فيما أنا آمرك به " اذهب إلى الغنم وخذ لي من هناك جديين جيدين من المعزى، فأصنعيهما أطعمه لأبيك كما يحب، فتحضرهما إلى أبيك ليأكل حتى يباركك قبل وفاته، فقال يعقوب لرفقه أمه " هوذا عيسو أخي رجل أشعر وأنا رجل أملس " ربما يجسن أبي فأكون في عيشه وأجلب على نفسي لعنه لا بركة " فقالت له أمه لعنتك على يا بني اسمع لقولي فقط

(١) تكوين ٢٥ من ١٩: ٢٦ .

واذهب خذ ابي" فذهب وأحضر لأمه فصنعت أمه أطعمه كما كان أبـوه يحب، وأخذت رفقه بثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التي كانت عندها في البيت وألبست يعقوب ابنها الأصغر، وألبست يديه، وملامسه عنقه جلـود جدي المغربي، وأعطت الأطعمة والخبز الذي صنعت في يد يعقوب ابنها . فدخل إلى أبيه وقال يا أبي فقال هأنذا من أنت يا بني فقال يعقوب لأبيه : أنا عيسو بكرك، قال فقلت كما علمني ثم أجلس وكل من صيدي لتباركني نفسك، فقال إسحاق لابنه ما هذا الذي أسرعت لتجد يا بنـي فقـال " إن الرب إلهك قد يسر لي " فقال إسحاق ليعقوب تقدم لأجسك يا بني أنت هو ابني عيسو أم لا " فتقدم يعقوب إلى إسحاق أبيه فجـسه وقـال الـصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو ولم يعرفه لأن يده كانت مـشعرتين كيدي عيسو فقال أنا هو، فقال قدم لي الأكل فقدم له الأكل فأكل ثم قال له تقدم وقبلني يا بني، فتقدم وقبله فشم رائحة ثيابه وباركـه وقـل " انظـر رائحة ابني كرائحة حقل قد باركه الرب، فليعطك الله من نـدى الـسماء ومن دسم الأرض، وكثرة حنطه وخمر، ليستعبد لك شعوب، وتسجد لـك القبائل كن سيداً لأخوتك، وليسجد لك بنو أمك "

وحدث عندما فرغ إسحاق من بركه يعقوب ويعقوب قد خرج مـن لدن إسحاق أبيه، أن عيسو أخاه أتى من صيده، فصنع هو أيضاً أطعمـه ودخل بها إلى أبيه وقال لأبيه " البقر أبي ويأكل من صـيد ابنـه حتـى تباركني نفسك " وقال له إسحاق من أنت فقال أنا أبنك أكبرك عيسو، فقال له إسحاق وارتعد وقال فمن هو الذي اصطاد صيداً وأتى به إلى فأكلـت من الكل قبل ان تجئ وباركته ليكون مباركاً، فلما سمع عيسو كلام أبيـه صرخ صرخة عظيمة . (١)*

---

(١) *المفهوم من النصوص ان يعقوب سارق وسرق من أخيه البركة والمفهوم هنا أن هذه البركة هي النبوة والسيادة فهل النبوة ميـراث يُـسرق وغنيمـة الأب =

ثم قال عيسو لأبيه " أما بقيت لي بركة " فأجاب إسحاق وقال لعيسو إني قد جعلته سيداً لك، ودعت إليه جميع أخوته عبيداً وعضدته بحنطة وخمر، فماذا أصنع إليك يا بني فقال لابنه لك بركة واحدة ورفع عيسو صوته وبكى فأجاب إسحاق أبوه وقال له " هو ذا بلا دسم الأرض يكون مسكنك وبلا ندى السماء من فوق، ويسفيك بعيشي ولأخيك تستعبد ولكن يكون حينما تجمع إنك يكسر عن عبقك ، فحقد عيسو على يعقوب من أجل البركة التي باركة بها أبوة وقال عيسو في قلبه " قريب أيام مناحة أبي فأقتل يعقوب أخي " (١)**

وبعد ذلك جاءت قصة طويلة فهرب يعقوب من أخيه ثم رجوعه إليه مرة أخرى ولكن نتوقف هنا عند أمر غريب عجيب بين يعقوب وبين من يا ترى :

عنوان النص هو يعقوب يصارع الله :

ثم قام في تلك الليلة وأخذ امرأته وجاريته وأولاده الأحد عشر وعبر مخاضه يبوق، أخذهم وأجازهم الوادي، وأجاز ما كان له فبقى

=لأبنه وما هذه القصة الهابطة التي لا تسمن ولا تغني من جوع إلا أن النبي يعقوب كان سارقاً وسرق أخاه في أشرف شيء وأين المولى الذي منح لإسحاق هذه البركة هل يتفرج وينظر ولا يدفع شيئا فهذا هراء وافتراء وخيال مريض ولا يُقبل على بني كريم . تكوين ٢٧ من ١: ٣٤ .

(١) تكوين ٢٧ من ٣٤: ٤١.

** هل مرشح للنبوة ويطمع في بركة أبيه أم هو قاتل ابن إسحاق عيسو حتى يتوعد أخاه ليقتله فهذا كلام لا يقبله عقل سليم فهل هذه سلوك أبناء الأنبياء الذين يباركهم الأب ويمنحهم الله النبوة بعد ذلك .

يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ولما رأى انه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه، فانخلع فخذ يعقوب في مصارعه معه، وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر فقال لا أطلقك إن لم تباركني . فقال له ما اسمك فقال يعقوب، فقال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت، وسأل يعقوب وقال " أخبرني باسمك فقال لماذا تسأل عن اسمي وباركه هناك " .

فدعا يعقوب اسم المكان " فنيئيل " قائلاً لأني نظرت الله وجهاً لوجه، ونجيت نفس " وأشرقت له الشمس إذ عبر فينوئيل وهو يجمع على فخذه، لذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النسا الذي على حق الفخذ إلى هذا اليوم، لأنه ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النسا " (١) *

✡✡✡

(١) تكوين ٣٢ من ٢٢: ٣٤.

* هذا كلام لا يقبله إنسان ولا يليق بان يكون هذا الكتاب حتى مكتوب بيد البشر إلى هذه الدرجة من الانحدار والانقلاب والحديث عن المولى بهذه الطريقة يصارع يعقوب وينتصر عليه يعقوب، فهذه عقول مريضة إلا أن كل هذا الكلام وكما سنرى لاحقاً ما هي إلا محاولة جعل كل عمل يقوم به بنو إسرائيل باسم الله، والدين وتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

قصة سيدنا يوسف

في القرآن الكريم

جاء ذكر سيدنا يوسف في القرآن الكريم مـرات قليلـة وجـاءت سورة كاملة سميت باسم يوسف وجاء ذكره في قـول المـولى سـبحانه وتعالى : {وَلَقَدْ جَاءكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا } (١)

وتبدأ سورة يوسف بالرؤيا التي رآها سيدنا يوسف ﷺ، ورؤيا الأنبياء حق وهو لم يكن نبي بعد ولكنها إرهاصات النبوة .

وقال ﷺ : **" يوسف هو نبي ابن نبي ابن نبي "**

وقال ﷺ :" هو الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم " (٢)

" وجاء في حديث المعراج أن الرسول ﷺ التقى بيوسف وقال عنه لقد أعطى يوسف شطر الحسن ورحب بالرسول ﷺ ودعـا لـي بـالخير وعندما سئل الرسول عن أكرم الناس قال أتقاكم، قالوا لـيس عـن هـذا نسألك، قال يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله "

وتبدأ القصة مع هذه الرؤيا :

{إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} (٣)

(١) غافر (٣٤) .

(٢) البخارى .

(٣) يوسف (٤) .

فيقول له أبوه : {قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا } (١)

فهذه بشرى من الله ونعمة أنعمها الله عليك .

ولكن أخوه يوسف حسدوه على أقل من هذا بكثير حسدوه على حب أبيه له .

{إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ۞ اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ} (٢)

ولكنهم عقدوا العزم على أمر آخر وهو في الواقع قتل، ولكن قتل، بطئ وهو القاؤه في الجب ليلتقطه بعض السيارة أي القوافل المارة .

{قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ} (٣)

واحتالوا على أبيهم وطلبوا منه ان يأخذوا يوسف معهم، بعد أن أكدوا لأبيهم أنهم سيحافظون على يوسف، وكيف لا يحافظون عليه وهم مجموعة كبيرة .

ولكن وقع منهم ما عقدوا عليه العزم، وألقوه في الجب وجاءوا أباهم عشاءً يبكون، وقالوا إن الذئب أكله بعد أن تركناه عند المتاع ولابد أن يصدقنا وجاءوا أباهم بدليل كذب وهو قميص يوسف وعليه الدم،

---

(١) يوسف (٥) .

(٢) يوسف (٨، ٩) .

(٣) يوسف (١٠) .

ولكنه دم كاذب فكيف يأكله الذئب ويقتله والقميص سليم لم يتمزق، فهم قد جاءوا بدليل كذبهم معهم وقال تعالى : {وَجَاؤُواْ أَبَاهُمْ عِشَاء يَبْكُونَ۞قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ۞ وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} (١)

وهذا هو مكر البشر ولكن هناك تدبير آخر من رب البشر . فجاءت القافلة لتمر على هذا البئر ويلقوا الدلو ليخرج لهم الماء، ولكنه أخرج يوسف، واستبشروا بهذا الوجه الجميل الذي خرج لهم من البئر وأخذوه وباعوه بدراهم قليلة، ولكن لطف الله تجلى على يوسف فمن اشتراه، اشتراه عزيز مصر ليتربى في هذا البيت الكريم وفي نعيم، وهذا وليعلمه الله من تأويل الأحاديث والحكمة والعلم، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون، فقدر الله واقع لا يبدله مكر ولا خديعه ولا خطه .

وقال تعالى : {وَجَاءتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلاَمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ}
{وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ۞ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنِّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} (٢)

---

(١) يوسف (١٦، ١٧، ١٨) .
(٢) يوسف (٢١، ٢٢) .

وجاءت محنة يوسف الكبرى عندما بلغ مبلغ الرجال، وهذه المرأة التي تربى في بيتها تراوده عن نفسه، فماذا يفعل ولكن يوسف تصرف تصريف الكريم والأنبياء، وليس كما يقول البعض، ونتوقف عند هذه الآية ويفسرها الكثير تفسيرا غير مقبول، فيقال عن النبي يوسف بغير علم ولا يليق بنبي كريم ان يقال عنه هذا مع العلم أنه لا يوجد دليل على هذا التفسير لا لغوي ولا نقلي، فلا يوجد أحاديث تتحدث عن أن يوسف هم بهذه المرأة، ولأنه هم بالوقوع في الخطيئة، ولا حتى في اللغة العربية ما يوحي في هذه الآيات بهذه المقولة المشهورة في اكثر كتب التفاسير وهذه الآية تقول :

{وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ۝وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ } (١)

فلذا لا يسعنا إلا أن نفسر هذه الآيات بالقرآن و باللغة العربية فماذا تقول النصوص واللغة في هذه الآيات، هي في الواقع شهادة براءة دامغة ليوسف .

تعترف امرأة العزيز عن نفسها وتقول : ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسَتَعْصَمَ ﴾ (٢)

والفاء هنا تفيد التعقيب والترتيب، أي أن الاستعصام كان مباشرة لا فصل بينهم .

---

(١) يوسف (٢٣، ٢٤) .

(٢) يوسف (٣٢) .

والمرة الثانية أيضاً تعترف مرة أخرى عن نفسها عما رفض يوسف أن يخرج من السجن إلا بعد أن يأخذ صك البراءة، والاعتراف من امرأة العزيز والنسوة جميعاً، ولا يفعل هذا إلا مظلوم صاحب كرامة.

وقالت امرأة العزيز : {قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ للهِّ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ} (١)

قول المولى لولا أن رأى برهان ربه ولولا هنا حرف امتناع الامتناع، أي امتناع حدوث الفعل من الأصل، كما يقول المولى : { وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِّ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً} (٢)

ثم إن فعل هم لا يحمل معنى مقدمة الجماع، ولكن جاء في القرآن الكريم ان هم دالة على القتال والحرب كما قال تعالى : {إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلاَ} (٣)

والتفسير المنطقي لهذه الآية بعد ذلك انها همت به ضرباً لامتناعه، وهو هم بها ضرباً لإبعادها عن نفسه .

وبعد ذلك جاءت شهادة شاهد من أهل بيتها، وقال إن كان قميصه قد من قبل فهي صادقة وهو هم بها، وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت، وعندما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم .

(١) يوسف (٥١) .
(٢) النساء (٨٣) .
(٣) آل عمران (١٢٢) .

{قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ ۞ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۞ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ} (١)

ثم بعد ذلك جاء العرض ليوسف، إما الرذيلة وإما السجن، فاختار السجن على المعصية .

{قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ } (٢)

{وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} (٣)

وفسر يوسف هذه الرؤيا بما علمه الله فقال : {يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ} (٤)

وقال لأحدهما أنه سينجو ويعمل ساقيا عند الملك، والآخر سوف يصلب وتأكل الطير من رأسه .

---

(١) يوسف (٢٦، ٢٧، ٢٨) .

(٢) يوسف (٣٣) .

(٣) يوسف(٣٦) .

(٤) يوسف (٤١) .

وقال للذي ظن أنه ناج، اذكرني عند الملك بصلاحي ومظلمتي، ولكن نسى هذا الساقي هذا الأمر .

حتى رأى الملك رؤيا عجيبة، ولم يستطع أحد أن يفسرها له، فقال الملك : {وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ} (١)

وعندها تذكر الساقي وطلب من الملك أن يرسله إلى يوسف في السجن، وعندما قص علي يوسف الرؤيا قال تزرعون سبع سنين فيعم فيهن الخير، ثم يأتي من بعد ذلك سبع سنين شداد، ولا ثمار فيهن ثم بعد ذلك يأتي عام يعم فيه الخير .

ونتوقف هنا عند تأويل الأحاديث وعند الأحلام :

قال ﷺ : " الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان فمن رأى شيئاً يكرهه فليتفل عن شماله ويتعوذ من الشيطان منها فلا يضره شيء وإن الشيطان لا يتمثل بي " (٢)

وكيفية معرفة أي نوع من هذه الأنواع ما يرى الإنسان فينظر لحال هذا الإنسان، فإن كان عبداً صالحاً طائعاً لله فهي رؤيا صالحة من الله، وإن كان إنسان في غفلة وعلى طريق المعصية، فهذه حلم من الشيطان، وإذا كان هذا الإنسان مهموم بأمر في الدنيا وجاء شيء يخص هذا الشيء في الحلم فهذا حديث نفسي .

---

(١) يوسف (٤٣) .

(٢) البخاري

وموقف الإنسان أمام هذه الأحلام وماذا يفعل ؟

قال ﷺ :" **إذا رأي الإنسان ما يحب فلا يحدث بها إلا لمن أحب، وإذا رأى ما يكره فليتفل عن شماله ليمض ولا يحدث بها أحدا** " (١)

وبالنسبة لتفسير الأحلام فبالنسبة للأنبياء، فهي حق وهو علم من عند الله كما هو حال سيدنا يوسف : {وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ}(٢)

أما بالنسبة لغير الأنبياء، فهو علم ظني أي غير مؤكد قد يتحقق أولا يتحقق، وهذا الأمر يحتاج إلى إنسان عنده شفافية عالية لا يملكها إلا القليل، وهو عموماً علم ظني لا يتوقف عنده الإنسان كثيراً .

ثم بعد ذلك تمت نعمة الله على يوسف بأن الملك طلبه ليكون مقرباً منه ولكن يوسف يرفض، ولا يقبل أن يخرج من السجن بعفو من الملك ولكنه أرادها براءة حتى تم له ذلك، واعترفت امرأة العزيز على نفسها .

{وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ} (٣)

وجاء يوسف إلى الملك وجعله وزيراً للمالية بناء على طلب يوسف .

وتحققت نبوءة يوسف وحلت المجاعة، ولكن تدابير يوسف أمكنت من التغلب على هذه المجاعة، وجاء أخوة يوسف إليه بعد أن شكوا من المجاعة التي حلت بأرض فلسطين وسمعوا أن بمصر الكثير من الغلال والكل يأخذ منها، فذهبوا إلى يوسف ودخلوا عليه، وعرفهم ولكنهم لم

---

(١) صحيح مسلم .

(٢) يوسف

(٣) يوسف (٥٠) .

يعرفوه، وتحدث إليهم وعلم منهم أن أباهم ما زال حياً وكذلك أخاه، وطلب منهم أن يرجعوا إليه ومعهم أخوهم فإن لم يأتوا به فلا يقربوا هذه الأرض مرة أخرى ولا يعودوا إليه مرة أخرى .

وقال تعالى : {وَجَاء إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ} (١)

{وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَاْ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ۞ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلاَ تَقْرَبُونِ} (٢)

وبعد ذلك رجعوا إلى أبيهم وحدثوه، بما حدث وطلبوا منه أن يرسل معهم أخاهم، وألحوا عليه حتى وافق أخيراً، ولكن أخذ عليهم موثقاً من الله أن يأتوا به إلا أن يهلكوا من دونه .

وكاد يوسف المكيدة وأخذ أخاه بعد ان وضع في رحل أخيه السقاية، ونادى على السارقين وأخذ أخاه معه وأخبره بأنه أخوه وحاول أخوة يوسف أن يأخذوا أخاهم بأي طريقة ولكنهم فشلوا، فرجعوا إلى أبيهم وأمرهم أن يرجعوا ليبحثوا عن يوسف وأخاه ولا ييأسوا من روح الله، ورجعوا إلى يوسف مرة أخرى يشتكون له وهنا عرفهم يوسف بنفسه، فبهتوا وطلبوا أن يعفو عنهم، وقال يوسف بلسان النبي الكريم وسماحة الكريم فهو الكريم ابن الكريم :

{قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} (٣)

---

(١) يوسف (٥٨) .

(٢) يوسف (٦٠) .

(٣) يوسف (٩٢) .

وطلب منهم بالرجوع إلى أبيهم والعودة بأهليهم أجمعين، وعندها بدأت رحلة بني إسرائيل في مصر بعد أن مكثوا في فلسطين أقل من ١٠٠ سنة ضيوفا على أهلها .

ودخل جميع أهل يوسف وأبواه، ورفع أبويه على العرش، وخروا له سجداً، وقال لهم ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين، وبقى قوم إسرائيل في مصر من حينها حتى جاء موسى لهم ليأخذهم مرة أخرى إلى فلسطين ويختتم هذه القصة بهذه الآية يقول يوسف

وقال يوسف بعد أن رفع أبويه على العرش : {وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا } (١)

وهي رؤيا الشمس والقمر سجداً له وأحد عشر كوكباً فهما أبواه واخوته وقد تحققت هذه الرؤيا .

ثم وقف يوسف يناجي ربه بكلمات لابد أن يتوقف عندها كل ذي لب ويتمعن فيها فهي كالبلسم لكل مسلم فقال : {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} (٢)

وقال أيضاً : {إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاء إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} (٣)

---

(١) يوسف (١٠١) .

(٢) يوسف (١٠١) .

(٣) يوسف (١٠٠) .

وبعد الثناء على الله والشكر على النعم التي أنعم الله بها على يوسف يطلب أن يتوفاه الله مسلماً حنيفاً وأن يلحقه الله بالصالحين .

ومن قبل يقول إن ربي لطيف لما يشاء أي قدر الله لا يُغير ولا يتبدل أبداً، ولكن هناك لطف الله وهو أن يخفف له البلاء فيمر عليه، ولا يشعر به ويمر عليه مرور الرياح، فالله هون عليه السجن وكان من الممكن أن يعيش في السجن حتى يموت .

وجمع الله بين أبويه وأخوته وكان من الممكن أن لا يراهما مرة اخرى، والذي يشعر بلطف الله، هو الذي ينظر إلى السوء الذي كان من الممكن أن يقع له، ولكن الله خفف عليه وابتلاه بالأقل والأهون .

ثم يختتم هذه السورة بالحكمة من قصص القرآن

يقول المولى : {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ } (١)

ونتوقف عند أهم العبر المستفادة من قصة يوسف :

١- دموع التماسيح لا يتوقف عندها إنسان وخصوصاً إذا كانت من كاذب .

٢- الحسد هو أصل البلايا وبالحسد تآمر أخوة يوسف على قتل أخيهم .

٣- إذا حسد الإنسان فلا يبغي ويتوقف .

٤- لا يجتمع رجل بامرأة لا تحل له .

(١) يوسف (١١١) .

٥- من تحمل الأذى في سبيل الله وطلب حرمان الدنيا على أن يفتتن في دينه بدله الله نعماً في الدنيا وحلاوة لا يذقها إلا من عرف هذا الطريق .

٦- الأحلام علم ظني ولا يتعلق إنسان بالأحلام وتفسيرها وتأويلها فيتعلق عليها مصيره وقراراته .

٧- عادة الظالم أنه ينسى، والمظلوم لا ينسى ولا ينام وعين الله لا تنام ويقول وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين .

٨- العفو عند المقدرة دليل على صلاح القلوب .

قصة يوسف

في الكتاب المقدس

لا يوجد أي خلاف جوهري بين قصة سيدنا يوسف في القرآن الكريم والكتاب المقدس، فالقصتين اتفقتا في كثير من التفاصيل لذا لن نتحدث عنها مرة أخرى، إلا أنني سأتوقف عند وصية يعقوب لبنيه قبل موته ففي القرآن يوصيهم بأن يموتوا مسلمين .

وفي الكتاب المقدس يوصيهم بالسكن في الأرض التي كتبها الله لأبيهم أرض الكنعانيين، ووصيته بالدفن في هذه الأرض وكذلك يوسف عند موته يوصي أخوته وأبناءه بالسكن في هذه الأرض التي كتبها الله لأجداده .

وهذا حشر في سياق القصة بلا مناسبة، والتأكيد على هذه الأرض فلسطين ميراث بني إسرائيل، فهم أبناء إسحاق ويعقوب، ومع أنهم كانوا ضيوفا على أهل فلسطين وهاجروا بعد ذلك إلى مصر، فلا مانع لأي إنسان أن يسكن في فلسطين، فمن كان يعيش في هذه الأرض وله جذور تاريخية في هذه الأرض مهما كانت ديانته، فديار الإسلام كانت دائماً الملاذ الآمن لكل شعوب الأرض، أما أن يأتي مهاجرون من كل بقاع الأرض من الشرق والغرب، ويحتلوا أرض العرب ويطردوا أصحاب الأرض الأصليين، ويقولوا أن هذه أرض الأجداد ووصية الرب لنا فهذا بهتان ولا يقبله شرع ولا عرف ولا إنسانية .

✪✪✪

قصة موسى في القرآن الكريم

وقصة موسى أخذت مساحة كبيرة من القرآن الكريم، وتبدأ هذه القصة مع بني إسرائيل فهم عاشوا في مصر زمن طويل، ولكنهم عانوا من ظلم الفراعنة لهم، وأراد الله أن يؤدب الفراعنة على ما فعلوه وعاثوا في الأرض فسادا، وليمكن للمستضعفين في الأرض .

وتبدأ قصة موسى منذ مولد موسى، ففرعون وهامان كانوا ظلمه و أمر فرعون بقتل كل غلام يولد في هذا العام لأنه كان هناك نبوءة بأنه يخرج من بني إسرائيل من يهدم عرشه، ووضعت أم موسى هذا الغلام، فجاء الوحي بأن ترضع هذا المولود ثم إذا خافت عليه فلتلقه باليم بعد أن تضعه في التابوت وقال تعالى : {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} (١)

وفي هذه الآية أمران أن أرضعيه، فألقيه في اليم .

ونهيان : ولا تخافي ولا تحزني .

وبشارتان : إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين .

ويأتي بعد ذلك تدبير الله أن يربي هذا العدو المرتقب في بيت فرعون بعد ان التقطته امرأه فرعون .

{وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} (٢)

---

(١) القصص (٧) .

(٢) القصص (٩) .

وتربى موسى في بيت فرعون، وتجلى لطف الله بأم موسى أن يعود إليها مرة أخرى بعد أن أخذ الحماية من فرعون نفسه .

فماذا كان :{وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ۞ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (١)

وبعد ما بلغ موسى مبلغ الرجال دخل المدينة فماذا وجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه، فاستغاثه الذي هو من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى أي دفعه فمات هذا الرجل .

{وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ }(٢)

وكان سيدنا موسى قوي الجسم .

وقال ﷺ :" فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر، وأما موسى فإنه جسيم، قالوا وإبراهيم قال انظروا إلى صاحبكم " (٣)

ثم في اليوم التالي دخل موسى إلى المدينة مرة أخرى فوجد هذا الرجل يتشاجر مرة أخرى مع رجل آخر، وأراد موسى أن يبطش بهذا العدو إلا أن جاء رجل، وقال لموسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك يا موسى فاخرج مسرعاً، وأخذ موسى بالنصيحة وهرب إلى مدين وعندما

---

(١) القصص (١٣،١٢) .

(٢) القصص (١٥) .

(٣) رواه احمد .

جلس إلى الظل يستريح وجد القوم يسقون إلا امرأتين لا تستطيعان أن تشربا ولا أن تأخذا نصيبهما من الماء من شدة الزحام وكثرة الناس، فسقى لهما موسى وشكر الله على نعمة القوة التي أعطاها الله له وقال تعالى في هذه القصة :

{وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ۝ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ۝ فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}(١)

وعندما جلس إلى شعيب قص عليه قصته قال له نجوت من القوم الظالمين : {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} (٢)

وقال ﷺ : " مررت ليلة أسري بي على موسى عليه السلام رجل آدم طوال جعد كأنه من رجال شنوؤة، ورأيت عيسى ابن مريم على الخلق إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس وأرى مالكاً خازن النار والدجال فى أيات أراهن الله أباه " (٣)

---

(١) القصص (٢٣،٢٤، ٢٥) .

(٢) القصص (٦٤) .

(٣) رواه مسلم .

وعرض الرجل على موسى الزواج من إحدى ابنتيه على أن يعمل عنده ثماني حجج مهراً لهذه الزوجة فقبل موسى :

{قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ} (١)

وسئل الرسول ﷺ أي الأجلين قضى قال أوفهما .

ثم بعد ذلك أخذ موسى أهله وسار في صحراء سيناء راجعاً إلى مصر ولكنه ضل الطريق في الظلام، وفجأة وجد ناراً فقال لأهله انتظروا إني أرى ناراً لعلي أتيكم منها بشيء تتدفئون به أو أجد عند أهل النار من يرشدني إلى الطريق وقال تعالى عن هذا المشهد : {فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ }(٢)

ولكن عندما وصل إلى النار وجد الأمر مختلف وجاءه عندها النداء من الله بتبليغه بالرسالة التي أرسل بها موسى، وكلمة الله وقال له يا موسى إنك بالوادي المقدس وأن الله اختاره لهذه المهمة الشاقة للتبليغ عن الله، وأمده الله بالمعجزات المؤيدة لدعوته وهي العصا واليد التي تخرج بيضاء حتى يصدقوك يا موسى .

(١) القصص (٢٧) .
(٢) القصص (٢٩) .

وقال تعالى : {إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۝ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ۝ إِنَّ السَّاعَةَ ءاَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى} (١)

{وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ۝ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ۝ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ۝ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ۝ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ۝ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى} (٢)

{اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ۝ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۝ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} (٣)

وأمر الله موسى أن يذهب إلى هذا المتكبر الذي ادعى الألوهية ويقول له قولاً ليناً لعله يتذكر أو أن تنفعه الذكرى، فانظروا إلى رحمه الله وأمر موسى بأن يقول له قولاً ليناً، فهذا هو سلوك الداعي .

وقال ﷺ :" أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر " (٤).

وطلب موسى من الله أن يرسل معه أخاه هارون ليساعده في هذه المهمة، وقال تعالى : {وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ} (٥) .

(١) طه من (١١: ١٥) .

(٢) طه من (١٩: ٢٢) .

(٣) طه (٤٢: ٤٤) .

(٤) رواه أبو داود .

(٥) القصص (٣٤) .

وهنا قضية مكذوبة على موسى أن طلب هارون معه لأنه كان ألدغ بسبب جمرة وضعها على لسانه وهو صغير وهذا لا يُقبل فهل يرسل الله نبيا ليكون مصدر سخرية الناس، فهل يعجز الله أن يُبرئ هذا العيب إن كان موجودا أصلاً .

أما صحيح هذه القصة، فهي أن موسى عاش في طفولته بعيداً عن قوم فرعون عاش مع أمه في أهل مدين، وبعد ذلك هاجر مرة أخرى إلى مدين عندما هرب من فرعون وقومه بعد أن مات الرجل الذي دفعه موسى .

فلم يكن يستطيع أن يتحدث بلسان فرعون بفصاحة عكس هارون الذي عاش عمره مع قوم فرعون ويستطيع أن يتحدث بلسانهم بطلاقة وهذا ما يعبر عنه بفصاحة اللسان، أي أنه يستطيع أن يتحدث بأصول اللغة، وذلك عندما يقول فلان يتحدث العربية الفصحى فهو إذن فصيح اللسان .

وذهب موسى إلى فرعون بالتكاليف الإلهية .

{وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ} (١).

والدلالة على صدق قولي هذا المعجزات التي أيدني بها الله .

{حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ} (٢)

وتحداه فرعون وقال له أرني هذه الآيات .

---

(١) الأعراف (١٠٤) .

(٢) الأعراف (١٠٥) .

{فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ۝وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ}(١)

وأخرج موسى يده فإذا هي بيضاء مضاءة بضياء، ولكن بطانة السوء قالوا له إن هذا لساحر عليم، وعرف عن قوم فرعون البراعة في أعمال السحر فتحدوا موسى بجمع السحرة له في يوم معلوم .

وجاء سحرة فرعون طلباً للجاه والمال والشهرة وقالوا لفرعون :

{وَجَاء السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالْواْ إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ}(٢)

وتحدوا موسى وعقدوا العزم على أن يكون يوم الزينة يوم خروج الناس جميعاً فأرادوا أن تكون فضيحة موسى على الملأ لكن أراد الله أمراً آخر .

{قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى } (٣)

وفي اليوم الموعود جاء السحره وجاء موسى والملأ كلهم أجمعين ونصحهم موسى بأن هذا ليس بسحر ولكنهم رفضوا الا التحدي .

ثم ألقوا حبالهم وعصيهم وخيل إليهم أنها تسعى .

{قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى }(٤)

{وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ} (٥)

---

(١) الأعراف (١٠٧، ١٠٨) .

(٢) الأعراف (١١٣) .

(٣) طه (٥٩) .

(٤) طه (٦٦) .

(٥) الأعراف (١١٧) .

وهنا علم السحرة أن هذا ليس بسحر فهم اعلم بالسحر، فــأمنوا بموســى مباشرة وخروا سجداً لله رب العالمين، من بداية اليوم كانوا كفــرة وفــي نفس اليوم أمنوا .

فهذه هي حلاوة الإيمان، بل الأعجب أنهم رضوا بالعذاب وقبلــوه عن طيب خاطر، ففي أول اليوم كان وعد بالنعيم، وفي نهاية اليوم كــان وعد بالعذاب بل تعهدوا بتحمل كل بلاء، فالمؤمن الصادق الذي يؤمن عن اقتناع وعن برهان يقبل أن يفعل به ما يفعل على ألا يعود إلــى الكفــر، وهذه آيات هذا المشهد .

{فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى۝ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى}(١)

وممن آمن مع موسى امرأة فرعون، وتحملت العذاب وهذه المرأة تضرب مثلاً رائعاً على حلاوة الإيمان وصدق الإيمان فهي كانت في نعيم ليس بعده نعيم، فهي في قصر فرعون والخدم والحشم وكل شيء ولكنهــا اختارت قصراً آخر في الجنة عند الله وتحملت العــذاب مــن فرعــون وجنوده حتى ماتت ورأت قصرها في الجنة، فاختارت الباقي، فربح البيع وضرب الله بها مثلاً للإيمان .

{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} (٢)

---

(١) طه (٧٠، ٧١) .

(٢) التحريم (٧٠) .

وقال ﷺ : " **إن موسى قال إي رب عندك المؤمن مفتر عليه في الدنيا فقال فيفتح له باب من الجنة، فينظر أليها قال يا موسى هذا ما أعددت له، فقال موسى يا رب وعزتك وجلالك لو كان مقطوع اليدين، والرجلين ويسحب على وجهه منذ يوم خلقه إلى يوم القيامة، وكان هذا مصيره لم ير بؤساً قط، قال ثم إي رب عبدك الكافر موسع عليه في الدنيا قال فتفتح له باب إلى النار فقال يا موسى هذا ما أعددت له، فقال موسى إى رب وعزتك وجلالك لو كانت له الدنيا منذ خلقه إلى يوم القيامة وكان هذا مصيره لم يرض قط** " . (١)

ووقع العذاب فعلاً على بني إسرائيل وعلى من آمن من قوم فرعون وأذاقهم فرعون من كل أصناف العذاب فلم يؤمن من قوم فرعون إلا قليلاً .

وأرسل الله على فرعون وقومه الجراد والقمل والضفادع والدم وأخذهم بالشدة ونقص الثمرات وقال تعالى : {وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} (٢)
وقال تعالى أيضاً على العذاب الذي أرسله على فرعون وقومه .
{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ} (٣)

---

(١) رواه أحمد .
(٢) الأعراف (١٣٠) .
(٣) الأعراف (١٣١) .

ودعا موسى على قوم فرعون وقال :

{وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ} (١)

وجاء الأمر لموسى بأن يخرج مع بني إسرائيل ليلاً ولكن فرعون وقومه ساروا خلفهم ليقتلوهم .

وقال تعالى : {وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ۞ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ} (٢)

{فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ} (٣)

ولكن موسى بلسان اليقين فهو يعمل بأمر الله وكله في الله .

{قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} (٤)

وجاء الأمر الإلهي لموسى أن يضرب بعصاه البحر الأحمر فانفلق البحر، وظهرت اليابسة ومن حولها الماء كالجبال، وأمر الله موسى أن يمر ومن معه .

{فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ} (٥)

---

(١) يونس (٨٨) .

(٢) الشعراء (٥٢،٥٣) .

(٣) الشعراء (٦١) .

(٤) الشعراء (٦٢) .

(٥) الشعراء (٦٣) .

{وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ۝ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ} (١)

وبعد أن مر موسى ومن معه أمر الله البحر أن يرجع مرة أخرى كما كان، فأُغرق فرعون وجنوده أجمعين ويصور هذا المشهد فرعون عندما شعر أنه غارق لا محالة، ينادي ويقول ولكن بعد فوات الأوان :

{ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} (٢)

ويستهزأ المولى منه ويقول له

{آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} (٣)

ولكن لا يكفي هذا ولكن يُلقى هذا الجسد كالرميم على شاطئ البحر لتكون عبرة لمن بعدك، فلا يُنكر ذلك متكبر وهذه عبرة لكل الأجيال وللبشرية كلها .

ويقول المولى : {فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ} (٤)

وهذا الذي كان يقول إن الأنهار تجري من تحتي أجراها الله من فوقه . ولم يقبل الله منه هذه المقولة لأن باب التوبة مفتوح ما لم يغرر العبد وقال رسول الله ﷺ :" **لما قال فرعون آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل** " قال جبريل لو رأيتني وقد أخذت من البحر فدسسته فيه مخافة أن يناله رحمة الله " (٥)

---

(١) الشعراء (٦٥، ٦٦) .

(٢) يونس (٩٠) .

(٣) يونس (٩١) .

(٤) يونس (٩٢) .

(٥) رواه احمد .

وجعل الله فرعون وهامان في الدرك الأسفل من النار .

وقال ﷺ : " من حافظ على الصلاة كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان " (١)

وعندما دخل الرسول ﷺ إلى المدينة وجد اليهود يصومون يوماً فقال ما هذا اليوم قالوا هذا يوم نجى الله فيه موسى وهو يوم عاشوراء فقال ﷺ لأصحابه نحن أحق بموسى منهم فصوموا ". (٢)

وبعد أن أنعم الله على بني إسرائيل مباشرة ماذا فعلوا، جاءوا إلى قوم يعكفون على أصناماً لهم، وقالوا لموسى أصنع لنا ألهاً كما لهم ألهة، وهنا تعجب موسى منهم وقال هل بعد ذلك أبغيكم ألهاً : {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ۝ قَالَ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} (٣)

ولما خرج رسول الله في غزوة حنين مر بشجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فقالوا يا رسول الله اجعل لنا أنواطا كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ سبحان الله هذا ما قاله قوم موسى له اجعل لنا ألهاً كما لهم أله والذي نفسي بيده لتتبعن سنن من كان قبلكم " (٤)

---

(١) مسند الإمام أحمد .

(٢) رواه البخاري .

(٣) الأعراف (١٣٨، ١٣٩) .

(٤) رواه أحمد .

وقبل ان ننتقل مع بني إسرائيل في سيناء ورحلتهم في سيناء نتوقف مع هذه الأيات التي توجع القلوب وتقشعر منها الجلود عن حال فرعون وقومه فيقول المولى :

{كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ۞ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ۞ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ} (١)

وقال المولى عن حال فرعون وقومه والعذاب التي وقع ويقع عليهم إلى يوم القيامة : {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} (٢)

ومن هذه اللحظة بدأت رحلة خروج بني إسرائيل من مصر بعد أن عاشوا فيها فترة من تاريخهم ليعودوا مرة أخرى إلى فلسطين كما امر الله موسى، وبدأت الرحلة في صحراء سيناء، فماذا فعلوا مع نبيهم ومع الله ومعجزات وكرامات حلت بهم، والملاحظ أن بني إسرائيل بالذات أرسل الله لهم معجزات عديدة حسية فأرسل، الله لهم الطعام الشهي المتمثل في المن والسلوى .

{وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى } (٣)

واستسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر يخرج الماء .

{وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ} (٤)

---

(١) الدخان (٢٥، ٢٦، ٢٧) .

(٢) غافر (٤٦) .

(٣) البقرة (٥٧) .

(٤) البقرة (٦٠) .

فماذا قالوا بعد هذا النعيم الرغد السهل .

{وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ } (١)

فهم طلبوا الأدنى بالذي هو خير، فهذه عقلية عجيبة غريبة ولكن الملاحظ أنهم يعيشون على المجادلة وعدم الرضا عن أي شيء وهذا سر شقائهم في الدنيا .

ثم بعد ذلك ذهب موسى للوفاء لله وقال تعالى : {وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ} (٢)

{وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} (٣)

وقال ﷺ :" لا تخيروا بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من أفيق، فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفيق قبلي أم جوزي بصعقة الطور " (٤)

---

(١) البقرة (٦١) .

(٢) الأعراف (١٤٢) .

(٣) الأعراف (١٤٢، ١٤٣) .

(٤) رواه البخاري .

فماذا يفعل قوم موسى بعد ان ذهب للقاء ربه وتركهم مع اخيه هارون . فإذا بهم يصنعون عجلاً جسداً له خوار وإذا أردت أن تبحث عن أصل عبادة العجل، فهذا هو الدليل على من أدخل هذه العبادة على الناس وأفسدهم .

{وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَالِمِينَ} (١)

وعندما عاد إليهم موسى اعترفوا بأن هذه مسروقات سرقوها من قوم فرعون قبل خروجهم من مصر، فأرادوا أن يتخلصوا من هذه المسروقات فوقعوا في الكفر .

{قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ} (٢)

وعندما عاتب موسى أخاه هارون أخذ برأسه وألقاه على الأرض قال أن القوم كادوا أن يقتلونى عندما حاولت منعهم عن هذه الكبيرة، فخاف على نفسه منهم، فهذا هو ميراث العنف مع الأنبياء، وما نراه هذه الأيام من بني إسرائيل ليس بجديد عليهم فهو ميراث .

بعد ذلك أخذ موسى الألواح التي كان قد ألقاها من شدة غضبه وكان مكتوبا فيها شريعة بني إسرائيل .

وبعدها أخذ موسى سبعين رجلاً من خيرة بني إسرائيل لميقات الله ولكنهم قالوا أرنا الله جهرة فماذا حل بهم انظروا قول الله تعالى :

---

(١) البقرة (١٤٨) .

(٢) طه (٨٧) .



{وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ} (١)

وقيل زادهم الله فوق هذا أنه رفع فوقهم الجبل .

وقال تعالى : {وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّواْ أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (٢)

ولم ينتهه الأمر عند هذا

{وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ۝ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (٣)

واستمر حال بني إسرائيل في سيناء يجاهد موسى معهم ويحاول أن يصلحهم ويهيئهم لما كلفوا به، فهم في واقع الأمر كانوا في معسكر إعداد وتدريب ليكونوا بعد ذلك اهل جهاد ودعوة .

وقال ﷺ :" **عندما جادله أصحابه في توزيع الغنائم قال يرحم الله موسى قد أوذي أكثر من هذا** " (٤)

ثم بعد ذلك جاء اختبار آخر لبني إسرائيل من خلال هذه القصة وهي أنهم وجدوا بجوار مساكن قوم قتيلا فاتهموهم بأنهم القتلة، ولكن قال

(١) الأعراف (١٥٥) .
(٢) الأعراف (١٧١) .
(٣) البقرة (٥٥، ٥٦) .
(٤) البخاري .

رجل منهم بينكم رسول الله موسى، ذهبوا إليه ليحكم في هذا الأمر فعندما ذهبوا إلى موسى، فقال لهم اذبحوا بقرة، فقالوا عتتخذونا هزواً وتستهزأ بنا قال لا أفعل هذا الأمر أبداً، ثم استمر جدالهم في شكل البقرة ولونها حتى شدد الله عليهم ووضع لهم مواصفات لهذه البقرة صعبة ولم يجدوها إلا عند يتيم، وأهل هذا اليتيم أخذوا مقابلها الكثير، فكان يكفيهم أي بقرة، ولكنه درس لهم في عدم الجدال، ولكنهم أبوا إلا المجادلة، وبعدها أمرهم أن يضربوا القتيل ببعض هذه البقرة، فقام القتيل وأشار على قاتلة وكان ابن أخيه ثم مات ويقول المولى عن هذه القصة : {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ۞ قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُواْ مَا تُؤْمَرونَ۞ قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ۞ قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَاء اللّهُ لَمُهْتَدُونَ۞ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا قَالُواْ الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ۞ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (١)

وبعد ذلك جاءت قصة موسى وذهابه مع فتاه يوشع بن نون إلى مجمع البحرين ليلقى بالرجل الذي أمره الله موسى أن يذهب ليلتقي به وهو الخضر عليه السلام، وذلك حتى يعلم موسى الصبر ويعلمه ان علمه الذي علمه الله ما هو إلا قليل بل أقل القليل .

(١) البقرة (٦٧ : ٧٢) .



ويقول ﷺ :" لما لقي موسى الخضر عليه السلام جاء طير فألقى منقاره في الماء، وقال الخضر لموسى تدبر ما يقول هذا الطير قال ما يقول قال يقول ما علمك وعلم موسى في علم الله إلا كما اخذ منقاري من الماء "(١).

ثم أتى أمر الله لموسى أن يدخل الأرض المقدسة وهي أرض فلسطين لتأديب العماليق سكان هذه الديار بعد أن عاثوا فسادا في الأرض وكذلك لأخذهم إلى طريق الله ولكنهم ماذا قالوا لموسى .

{يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ۞قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ} (٢)

{قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} (٣)

ولم يكتفوا بالتقاعس، ولكن تطاولوا على الله سبحانه وتعالى، فجاء الأمر الإلهي بعقابهم .

{قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ } (٤)

كتب الله عليهم أن يتيهوا في صحراء سيناء، وحرم عليهم دخولها ٤٠ سنة مع إن نبيهم قد أكد عليهم من قبل أن الله سوف يفتحها عليهم، ولكنهم أبوا إلا المعصية .

---

(١) رواه الحاكم .

(٢) المائدة (٢١، ٢٢) .

(٣) المائدة

(٤) المائدة

ويوم بدر قال الرسول ﷺ لأصحابه مستشيراً إياهم أندخل أم لا مع انهم خرجوا للعير " فقال المقداد والله يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون " ولكننا نقاتل عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك فرأيت وجه رسول الله ﷺ يسر لذلك " (١).

وفعلاً لم يدخل بنو إسرائيل هذه الأرض، إلا بعد موت موسى ودخلوا مع فتى موسى يوشع بن نون ولكن بعد أن تأدبوا وبكوا على ما فعلوا.

وبعد ذلك مات هارون ودفنه موسى، وعاش مع قومه في سيناء حتى أجل موسى، وجاء ملك الموت .

وكما قال ﷺ : " لا يموت نبي إلا ويخير بين الدنيا والآخرة " (٢).

وعندما جاء ملك الموت إلى موسى ﷺ، فقال له أجب ربك فلطم موسى ملك الموت ففقأ عينه، فخرج الملك إلى الله فقال، إنك بعثتني إلى عبد لا يريد الموت، وقد فقأ عيني قال ارجع إلى عبدي فقل له أى الحياة تريد، قال فإن كنت تحب الحياة ضع يدك على متن ثور مما وارت يدك من شعرة فإنك تعيش بها سنة قال ثم ماذا ثم أعدن قال الآن يا رب من قريب " (٣)

وهذا ليس معناه أن موسى لم يكن يريد الموت ولكنه لم يعرف ملك الموت عندما جاء له في أول الأمر، وجاء له هذا الملك في مرحلة التخيير .

---

(١) رواه أحمد
(٢) رواه البخاري
(٣) أحمد .



وبعدها ذهب موسى إلى ربه بعد أن عانى الكثير من قومه وتحمل منهم للكثير وقال ﷺ :" قال موسى يا رب علمني شيئاً أذكرك به وأدعوك به قال قل يا موسى لا إله إلا الله قال يا رب كل عبادك يقول هذا قال قل لا إله إلا الله قال إنما أريد شيئا تخصني به قال يا موسى لو أن السموات السبع والأرضين السبعة في كفه ولا إله إلا الله في كفه، مالت بهم لا إله إلا الله " (١)

وقال ﷺ : " لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا من قبل وأما أن تصدقوا بباطل وتكونوا بحق فإنه لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني " (٢)

أهم العبر والعظات من قصة موسى :

١- التعريف الكامل والشامل ببني إسرائيل أعداء المسلمين على طول الطريق والتعريف بنفسية هؤلاء الفسقة :

فهم عبيد لمن ظلم .

لا يستقروا على حال أبداً

لا عهد لديهم مع أحد حتى مع الله .

عقليات مريضة متمردة على كل شيء .

٢- مهما فعل الظلمة والمتكبرون فلن يفلتوا من سوء العاقبة .

٣- من يتقى الله يجعل له مخرجاً، ومن يتوكل على الله فهو حسبه كما حدث مع أم موسى عندما ألقت الرضيع في النهر .

---

(١) رواه ابن حبان .

(٢) رواه أحمد .

٤- عدم مخالطة جلساء السوء كما حدث مع موسى، وهذا الشقى من قومه دفعه لقتل الرجل .

٥- لا حرج من أن يخطب الرجل لابنته إذا وجدا الرجل المناسب.

٦- على الداع أن يتبع القول اللين مع الضال .

٧- المؤمن الحق لا يقبل إلا ما عند الله، ولا يقبل أن يعود في الكفر مهما فعل به .

٨- العبرات ومعرفة حال فرعون وقومه والحضارة التي بلغوها ثم فناء هذا كله بسبب الكبر والكفر والتعالي على الله .

٩- أحفاد القردة والخنازير هم لصوص بالوراثة .

١٠- معرفة تلون اليهود في كل وقت وأنهم لا دين لهم ولا ذمة .

١١- اليهود قتله بطبعهم لدرجة أنهم أوشكوا أن يقتلوا هارون .

١٢- على الداعي أن يقول قولاً ليناً مع المخالف لعله يرجع أو يلين قلبه .

۞۞۞



قصة موسى

في الكتاب المقدس

لم تختلف بداية قصة موسى ومولده بين الكتاب المقدس والقرآن الكريم إلا في تحديد سبب كره فرعون لبني إسرائيل وتعذيبهم، وما كان هذا إلا بسبب حسد وحقد فرعون على بني إسرائيل .

" ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف، فقال لشعبه هو ذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا، هلم نحتال لهم لئلا ينموا فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض " * (١)

والخلاف في القصة أن الذي التقط موسى وهو رضيع هي ابنة فرعون وليست زوجته كما جاء في القرآن .

" فنزلت ابنة فرعون إلى النهر لتغتسل فرأت الصفط من الحلفاء فأرسلت أمتها وأخذته ولما رأت الولد، وإذا هو صبي يبكي فرقت له وقالت هذا من أولاد العبرانيين " (٢)

وقصة هروب موسى من مصر لا تختلف كذلك ثم بعد ذلك جاءت مرحلة النبوة لموسى، وإنها جاءت بناء على صراخ بني إسرائيل لله **

---

* لا وألف لا فهذا هو حال بني إسرائيل على مدار التاريخ خصالهم الفساد في الأرض فيرسل الله لهم من يسومهم سوء العذاب .

** فهل يعقل أن الله نسي حاشا لله عم يقولون علواً كبيراً، وهل النبوة تأتي بناء على طلب العباد .

(١) خروج ١ من ٨: ١٠ .

(٢) خروج ٢ من ٥ : ٧ .

" وضرب في تلك الأيام الكبيرة أن ملك مصر مات وتنهد بنو إسرائيل من العبودية، وصرخوا فصعد صراخهم إلى الله من اجل العبودية، فسمع الله أنينهم فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ونظر الله بني إسرائيل وعلم الله " (١)*

وقصة مفاجأة الله لموسى جاءت مشابهة لقصة القرآن ناداه من جانب الطور ورأى موسى النار والمعجزات التي أرسل الله بها موسى العصا واليد البيضاء وكذلك أمره بالذهاب إلى فرعون ليخرج مع العبرانيين . ولكن هنا نص لابد أن نتوقف عليه أول أوامر الوحي انظرو إلى الفسقه ماذا يقولون على أول وحي من الله لموسى عليه السلام .

ولكن اعلم أن ملك مصر لا يدعكم تمضون ولا بيد قويه، فأمد يدي أضرب مصر بكل عجائبي التي أصنع فيها وبعد ذلك يطلقكم، وأعطي نعمة لهذا الشعب في عيون المصريين فيكون حينما تمضون إنكم لا تمضون فارغين، بل نطلب كل امرأة من جارتها من نزيله بيتها أمتعة فضه وأمتعه ذهب وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين " (٢) *

---

(١) خروج ٢ من ٢٣ : ٢٥ .

* حاشا لله أن يأمرهم بالسرقة في أول الوحي ولكنهم يحبون سرقة ذهب المصريين كما أشار القرآن من قبل، وهو يصورون ان هذا أمر إلهي وهذا ما سوف يلاحظ في كل تاريخ بني إسرائيل أنهم يجعلون كل جرائمهم بأمر الكتاب المقدس وهذا بهتان وكذب، فالله يأمر بالعدل والإحسان ولا يأمر بالسوء والفحشاء أبداً .

(٢) خروج ٣ من ١٩: ٢٢ .



وبعد ذلك تأتي قصه إرسال هارون مع موسى جاءت نتيجة جدال بين الله سبحانه وتعالى وموسى وليس بمجرد طلب من موسى وجاءت كالاتي :

" فقال موسى للرب استمع أيها السيد لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول من أمس، ولا من حين كلمت عبدك، بل أنا ثقيل الفم واللسان، فقال له الرب من صنع للإنسان فماً أو من يصنع أخرسا أو أبكما أو بصيراً أو أعمى أما هو أنا الرب، فالآن اذهب وأنا أكون مع فمك وأعلمك ما تتكلم به، فقال استمع أيها السيد أرسل بيد من ترسل، فحمى غضب الرب على موسى وقال أليس هارون اللاوي أخاك أنا أعلم أنه هو يتكلم، وأيضاً هاهو خارج لاستقبالك فحينما يراك يفرح قلبه، فتكلمه وتضع الكلمات في فمه، وأما أكون مع فمك ومع فمه، وأعلمكما ماذا تصنعان، وهو يكلم الشعب عنك، وهو يكون لك فماً وأنت له ألهاً، ونأخذ في يدك هذه العصا التى تصنع بها الآيات " (١)

وذهب موسى إلى فرعون بهذه الآيات ولكنه أبى إلا الكفر والعناد كما جاء في القرآن، وأخذهم الله بالشدة وأرسل عليهم العقاب وزادوا في

(١) خروج ٤ من ١٠: ١٧ .

*جعلوا سرقتهم للمصرين بأمر سيدنا موسى نبيهم وهذا كذب واضح وأفتراء على نبي فضله الله على العالمين وكذلك المبالغة الكبيرة في عدد بني إسرائيل وخروجهم من مصر في هذا العدد كيف بلغوا هذا العدد في سنين معدودة ٤٣ سنة منذ دخول أولاد يعقوب إلى مصر ليصبحوا هذا العدد الكبير جداً وكيف يمكن لموسى أن يهرب بهذا العدد الكبير من فرعون وقومه، فهذا جيش جرار ولو كان معه مثل هذا العدد لفتكوا بفرعون وجنوده.

العقاب الذي جاء ذكره في القرآن وعقاب آخر، وهو ضربهم بالظلام وعم مصر ثلاث أيام، وضربهم بعذاب آخر وهو موت جميع الأبكار، وأيضاً ضربهم البرق والدمامل، وضربهم العطش والذباب "

وجاءهم بعد ذلك الأمر بالخروج ليلاً وبناءً على أمر موسى كما يدعون سلبوا من المصريين أمتعتهم من الفضة والذهب وحليهم وثيابهم " وأعطى الرب نعمة لشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين، فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سكوت نحو مائة ألف ماش من الرجال عدا الشداد " (١)

" وأما إقامة بني إسرائيل في مصر فكانت أربعا وثلاثين سنة " (٢)

وجاءت قصة عبور بني إسرائيل البحر كما جاءت في القرآن وكذلك هلاك فرعون إلا أن الكتاب المقدس ذكر أن انفلاق البحر كان بسبب الرياح ولا يختلف قصة بني إسرائيل في سيناء ونزول المن والسلوى عليهم كذلك خروج أثنتا عشر عيناً يشربون منها، ثم بعد ذلك ذهاب موسى لميقات ربه، وجاء النص الآتي " فالآن إن سمعتم كلامي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب فإن لي كل الأرض، وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة هذه هي الكلمات التي تكلم بها بني لإسرائيل " (٣) **

---

(١) خروج ١٢ من ٣٦ : ٣٨ .

(٢) خروج ١٢، ٤٠

(٣) خروج ١٩، ٥ : ٧ .

** محاولة التأكيد على أنهم شعب الله الذين اختصهم لنفسه وفضلهم على العالمين ولكن هذا العهد الذي حظوه وما هو العقاب الذي وعدهم الله به إذا لم يحافظوا على العهد أم أنهم رفع عنهم التكاليف فلا عقاب عليهم .

ولم يأت ذكر للرجفة ولا لرفع الجبل فوق بني إسرائيل مع أنه ذكر ميقات الله لهم عند الطور .

" وقال الرب لموسى أنحدر حذر الشعب لئلا يقتحموا إلى الرب لينظروا، فيسقط منهم كثيرون " (١)

وبالنسبة لعبادة العجل فهي كما جاءت في القرآن الكريم إلا أن الخلاف في أنهم قالوا إن الذي صنع لهم العجل هو هارون .

" ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له " قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا "

لأن موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر، لا نعلم ماذا أصابه فقال لهم هارون " انزعوا أقراط الذهب التي في أن نسائكم وبناتكم وأتوني بها، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزاميل وصنعه عجلاً مسبوكاً فقالوا هذه آلهة بني إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر " فلما نظر هارون بني مذبحاً امامه، ونادى هارون وقال غداً عيد الرب "، فبكروا في الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب، فقال الرب لموسى اذهب أنزل لأنه قد فسد شعبك الذي اصعدته من أرض مصر، زاغوا سريعاً من الطريق الذي أوصيتهم به، صنعوا عجلاً مسبوكاً وسجدوا له، وذبحوا له وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر، وقال الرب لموسى " رأيت هذا الشعب وإذ هو شعب صلب ربه .

---

(١) خروج ١٩، ٢٠

فالآن اتركني ليحمي غضبي عليهم وأفنيهم فأصيرك شعباً عظيماً، فتضرع موسى أمام الرب إلهه وقال لماذا يا رب يحمي غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة، ولماذا يتكلم المصريون قائلين، أخرجوهم بخبث ليقتلهم في الجبال ونفنيهم عن وجه الأرض، ارجع عن حمو غضبك " واندم على الشر بشعبك "، وأذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم أكثر نسلكم كنجوم السماء، وأعطى نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت عنها فتملكونها إلى الأبد، فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه"(١)*

وأما قصة أن يتيهون في الأرض أربعين سنة بسبب عصيانهم لأمر الله بالدخول للأرض المقدسة، فهي تتشابه مع قصة القرآن، ثم بعد ذلك مات هارون ودفنه موسى، وعندما رجع إلى قومه وسألوا عن هارون، فقال لهم موسى لقد مات، فقالوا له لقد قتلته .

ثم بعد ذلك مات موسى وأوحى لغلامه يوشع بن نون بعده بأنه هو من سيدخل الأرض التي وعد الرب بني إسرائيل وجعله قائداً على بني إسرائيل .

---

* حاشا لله كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون إلا كذبا يقال إن الله ندم على الشر الذي قال إنه فاعله بشعبه، وكذب من قال أن موسى يقول لله أندم على الشر، فهذا كذب وبهتان مبين، أما أن هارون النبي الكريم يكفر ويصنع عجلاً أله فهذا لا نقبله أبداً عليه، ونرد كل من قال هذا فهذا أمر عظيم وقذف هذا النبي الكريم بما لا يليق بمنزلة النبوة، ولا يصح أن يقال على نبي مثل هذا، ولكن هذا منهج بني إسرائيل مع الأنبياء لا حياة ولا احترام لنبي عندهم .

(١) خروج ٣٢ من ١: ١٤ .



قصة داود وسليمان

في القرآن الكريم

تبدأ قصة داود في القرآن الكريم مع بداية معركة طالوت وجالوت وظهور الفتى الشجاع داود وتصديه لجالوت، وقتله بعد أن رفض الجميع الخروج له لملاقاته إلا داود .

{فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ(١)
فما كان من جالوتَ إلا أنه زوج داود لابنته وأصبح ملكاً .

ثم بعد ذلك جاءت النعمة الأخرى لداود وهي النبوة، فأرسله الله لبني إسرائيل وأرسل معه الزبور : { وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا} (٢)
سمع رسول الله ﷺ أبي موسى الأشعري يقرأ القرآن فقال لقد أعطى هذا من مزامير آل داود " (٣)

وكان داود عابداً طائعاً شاكراً يكثر الصيام والصلاة .

فقال ﷺ : " أحب الصيام إلى الله صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً واحب الصلاة إلى الله عز وجل صلاة داود عليه السلام كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه " (٤)

وفوق هذا كان داود يعمل بيده .

---

(١) البقرة (٢٥١) .

(٢) النساء (١٦٣) .

(٣) رواه الحاكم .

(٤) رواه النسائي .

وقال ﷺ :" **ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده** " (١)

وأتاه الله الحكمة وعلمه الله صناعة الدروع الحديدية وآلان له الحديد وسخر الله معه الجبال يسبحن بالعشي والإشراق والطير محشورة تردد تسبيحه .

وقال تعالى : {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ} (٢) وقوله تعالى : {إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ۝ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ۝ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ} (٣)

وبالنسبة لفصل الخطاب وهو جاء ذكره في هذه الآيات البينات {وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ۝ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ۝ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ } (٤)

والمعاتبة هنا من الله لداود، أن الخصمان عندما دخلوا على داود سمع لواحد منهم فقط، ولم يسمع للثاني، وحكم بغير أن يسمع للثانى، وعلى الحاكم أن يسمع للطرفين .

---

(١) رواه البخاري .
(٢) سبأ (١٠) .
(٣) سبأ (١٠) .
(٤) ص من (٢١: ٢٣) .

وقال ﷺ : " إن المقسطين على منابر من نور على يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين الذين يقسطون في أهليهم وحكمهم ما داموا " (١).

وقال ﷺ : " إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم مني مجلساً إمام عادل، وأن أبغض الناس ألي يوم القيامة وأشدهم عذاباً يوم القيامة إمام جائر " (٢)

وكان داود عليه السلام يدعو بهذا الدعاء .

وقال ﷺ : " قال داود عليه السلام رب أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك رب اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد " (٣)

وكان ﷺ إذا ذُكر داود كان يقول أعبدُ البشر " (٤)

وقال ﷺ : " مات داود عليه السلام فُجاءه يوم السبت وكان يبيت وتعكف عليه الطير فتظله " (٥)

۞۞۞

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه احمد .

(٣) رواه الحاكم .

(٤) رواه الحاكم .

(٥) رواه الحاكم .

قصة سليمان

وورث داود ابنه سليمان، ورثه في الملك وأتاه الله النبوة .

وكان سليمان يحب الخيل جلس في يوم ينظر إليها، وهي تجري أمامه فشغلته عن صلاة العصر، فقام إلى هذه الخيول وضرب أعناقها واستغفر الله تعالى على ما فعل وقال تعالى في قصة سليمان {إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ۝ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ۝ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ} (١)

ثم جاء الحديث عن فتنة سليمان فقال لأطوف الليلة على مائة امرأة بمائة فارس يجاهدون في سبيل الله، ولم يقل سليمان إن شاء الله، فلم تنجب إحداهن شيئاً إلا واحدة أنجبت مسخة بشرية وقال تعالى : {وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ} (٢)

وقال ﷺ : **" قال سليمان بن داود ﵇ لأطوف الليلة على مائة امرأة وتسع وتسعين امرأة كلهن يأتين بفارس يجاهدون في سبيل الله فقال له صاحبه قل إن شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله " (٣)**

ثم تاب سليمان إلى الله وأناب ودعا الله أن يعطيه ملكا لم يعطه لأحد من قبله ولا يعطيه لأحدٍ من بعده، فأجاب الله دعوته، فهو نعم العبد

---

(١) ص (٣١: ٣٣) .

(٢) ص (٣٤) .

(٣) رواه البخاري .

إنه أواب، وقال تعالى : {فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ ۞ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاء وَغَوَّاصٍ۞ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ} (١)

فسخر الله لــه الريح تحمله إلى الجهة التي يريدها سليمان، وأيضاً سخر له الجن يعملون بأمره ويبنون له ما يشاء، ويغوصون في البحـار يحضرون له من العجائب من قيعان المحيطات والبحار .

{يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} (٢)

وأيضاً مكنه الله من إسالة النحاس وأصبح كالماء في يده

{ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ } (٣)

وعلمه الله لغة الطير فكان يتحدث إلى الطير وتؤتمر بأمره .

{ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ } (٤)

وعن ابن عباس أنه قال كان سليمان توضع له ستمائة كرسي ثـم يجـئ بأشراف الإنس فيجلسون مما يليه، ثم يجئ بأشراف الجن فيجلسون ممـا يلي أشراف الأنس، ثم يدعو الطير فتظلهم، ثم يدعو الريح فتحملهم الغدوة الواحدة مسيرة شهر " (٥).

---

(١) ص (٣٦: ٣٨) .

(٢) سبأ (١٣) .

(٣) سبأ (١٢) .

(٤) النمل (١٦) .

(٥) رواه الحاكم .

وقصة سليمان مع الهدهد وما فيها من حكم وإرساله إلى ملكه سبأ حتى تأتي إليه ثم بعد ذلك مجلسه إلى قومه ويقول الذي عنده علم الكتاب أنا آتيك به بعرش بلقيس قبل أن يرتد إليك طرفك وقيل أنه كان عنده اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب .

ثم بعد ذلك هذه الملكة تؤمن بالله وتسلم أمرها لسليمان .

وبعد ذلك نأتي إلى قصة ففهمناها سليمان، وهذه القصة في حياة داود وحكماً في أمر واحد، ولكن داود أخطأ في الحكم، وفهم الله سليمان الحكم الصحيح وجاءت هذه القصة في قوله سبحانه وتعالى : {وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ} وفهمها سليمان [1].

فحكم داود على صاحب الغنم التي دخلت إلى حقل الثاني وأكلته أن يترك له الغنم مقابل ثمن الشجر .

ولكن سليمان حكم بالآتي أن صاحب الغنم يترك غنمه لصاحب الشجر يستفيد من أصوافها وألبانها ويأخذ صاحب الغنم الحقل يزرعه مرة أخرى ويعيده إلى سابق عهده ثم يأخذ كل منهما أصل ما يملك .

وفي قصة أخرى جاء في صحيح البخاري " كانت امرأتان معهما ابناهما، فجاء الذئب فذهب بابن أحدهما، وقالت لصاحبتها إنما ذهب الذئب بابنك، وقالت الأخرى إنما ذهب الذئب بابنك، فتحاكمتا إلى داود فحكم للكبرى، وخرجتا إلى سليمان ابن داود فأخبرتاه فقال ائتوني بالسكين

(١) الأنبياء (٧٨) .



لأقطعه بينكما، فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله أجعله لها، فقال هو للصغرى " [1]

ثم بعد ذلك نأتي إلى موت سليمان فيقول المولى سبحانه وتعالى {فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ} [2]

وهذه الآية على لسان الجن أنهم لا يعلمون الغيب ولو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في هذا العذاب المهين لأن سليمان مات وهو جالس على كرسيه مستنداً على عصاه حتى جاءت نملة الأرض تأكل هذه العصا حتى وقع سليمان، وتبينت الجن عندها أن سليمان قد مات .

وهذا رد بليغ على من يدعي أنه يحضر الجن ويعلم الغيب فهم لا يعلمون إلا القليل ولكن الناس يصدقونهم .

وقال تعالى عن علم الجن وتسخير الجن له {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ} [3]

أي ان السحر ليس مما علم سليمان به أحداً ولكن الشياطين هم الذين يعلمون الناس هذا السحر وهذا الكفر .

أهم العبر والعظات من قصة داود وسليمان :

١- الحكم عليه أن يتأنى في الحكم ويسمع جيداً .

٢- علم الغيب لا يعلمه جن ولا إنس .

---

(١) البخاري .

(٢) سبأ (١٤) .

(٣) البقرة (١٠٢) .

٣- قليل من النعمة يؤدي شكره خير من كثير من النعم يلهـــي العبــد عن الصلاة..

٤- كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بأذن الله .

٥- سوء عاقبة المتكبرين، سنة الله في الأرض أن لا يترك قوة وحيدة في العالم متكبرة، فلابد أن يرسل لها من يُذقها ســوء العــذاب، فيرسل عليها قوة بسيطة مستضعفة ولكنها مؤمنة .

٦- أختيار إسرائيل علمها وبه نجمه داود دليل على اختيارهم شــعار سيدنا داود نبى الملاحم والقتال المستمر، فهذه هــي نيــتهم مــن البداية حرب إلى النهاية أو السيطرة على فلسطين بما فيها القدس .

۞۞۞

داود في الكتاب المقدس

لا تختلف بداية قصة داود وقتله جالوت وبداية ظهور داود من القرآن الكريم والكتاب المقدس .

إلا أن داود في الكتاب المقدس كان نبي الملاحم والقتال والجهاد في سبيل الله، ولكن الملاحظ هو كثرة القتل في العهد القديم والإبادة وهي نتجت عن أرقام قتلى الأعداء لدرجة تجعل العالم كله يخجل من هتلر وعلى ما نسب إليه من أنه صاحب أكبر مذابح التاريخ فهم فعلوا أكثر من ذلك بكثير .

ولم يذكروا عن صلاة داود شيئا ولا صيامه ولا عبادته . ولكن حروبه وغزواته وغزوات قواده وما فعلوه في أهل فلسطين .

ونتوقف عند هذا النص من الكتاب المقدس :

" دعا داود ابنه سليمان وأوصاه أن يبني بيتاً للرب إله إسرائيل، وقال داود لسليمان " يا بني إني قد كان في قلبي أن أبني بيتاً لاسم الرب إلهي، فكان ألي كلام الرب قائلاً، قد سفكت دماءً كثيرةً وعملت حروباً عظيمة، فلا بيتا لاسمي لأنك سفكت دماءً كثيرة على الأرض " [١] *

ونتوقف هنا عند نص عجيب غريب نتحدث عن نبيَ كريم فماذا يقول هذا النص :

---

* فمن أين أن داود قتل الكثير والله لا يرض عنه، ومن أين هذا القتل في النصوص الكثيرة إن هذه الحروب بأمر الله كما جاءت في عدة نصوص ان كل هذا الدم والإبادة كان بأمر الله .

(١) أخبار الأيام الأول ٢٢ من ٦ : ٨ .

" وكان عند تمام السنة في وقت خروج الملوك أن داود أرسل يواب وعبيده معه وجميع إسرائيل، فأضربوا يدا بني عمون وحاصروا ربه، وأما داود فأقام في أورشليم، وكان وقت المساء أن داود قام عن سريره تمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة المنظر جداً، فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد

" أليست هذه يتشبع بنت اليعام امرأة أوريا الجثى، فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه، فأضجع معها وهي مطهرة من طمسها، ثم رجعت إلى بيتها، وحبلت المرأة، فأرسلت وأخبرت داود وقالت إني حبلى، فأرسل داود إلى يواب يقول أرسل إلى أوريا الجثى فأرسل يواب أوريا إلى داود، فأتى إليه فسأل داود عن سلامة يواب وسلامة الشعب ونجاح الحرب " (١) *

" وفي الصباح كتب داود مكتوباً إلى يواب وأرسله بيد أوريا، وكتب في المكتوب يقول " اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيُضرب ويموت" (٢) **

ثم بعد ذلك جاءت توبة داود عليه السلام

" فأرسل الرب ناثان إلى داود جاء إليه وقال له " كان رجلان في مدينه واحدة " واحد منهما غني والآخر فقير، وكان للغني غنم وبقر كثير، وأما

---

* هل هذا يعقل نبي وزاني في نفس الوقت لا يُقبل هو ان يُقال على نبي كريم .

** ويرسل هذا النبي الذي مدحه الله من يقتل قائد من قواده، فهذه جريمة قتل وخيانة، فكيف يقف بها أمام الله إنسان، فما بالنا بنبي كريم، فهذا افتراء وكذب على نبي الله داود لا يُقبل أبداً .

(١) صموئيل الثاني ١١ من ١: ٧ .

(٢) صموئيل الثاني ١١ ١٥ .

الفقير فلم يكن له شيء إلا نعجة واحدة صغيرة قد اقتناها ورباها وكبرت معه ومع بنيه جميعاً تأكل من لقمته وتشرب من كأسه وتنام في حضنه، وكانت له كابنه، فجاء ضيف إلى الرجل الغني فعفا أن يأخذ من غنمه ومن بقره ليهئ للضيف الذي جاء إليه، فأخذ نعجة الرجل الفقير وهبها للرجل الذي جاء إليه، فحمى غضب داود على الرجل جداً وقال لناثان " حي هو الرب " أنه يقتل الرجل الفاعل ذلك، ويرد النعجة أربعة أضعاف لأنه فعل هذا الأمر ولم يتق الله، فقال ناثان أنت هو الرجل "[١]

✡✡✡

(١) صموئيل ١٢ من ١: ٧ .

قصة سليمان في الكتاب المقدس

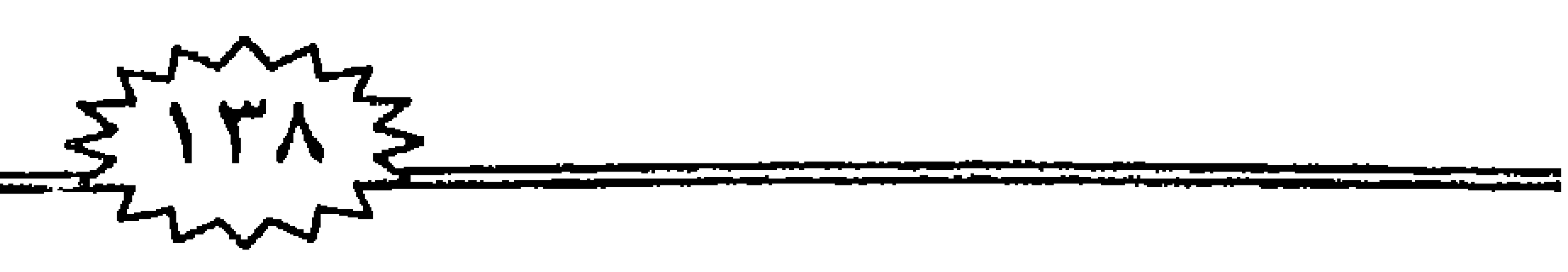
وتتشابه قصة سليمان مع بلقيس كما جاءت في القرآن الكريم وأن سليمان ورث داود إلا إنهم زادوا، أن ابن داود ساحر وجاء في الكتاب المقدس أن سليمان أعطاه الله الحكمة وفهماً كبيراً .

" وأعطى الله سليمان حكمة وفهماً كثيراً جداً ورحبه قلب كالرمل الذي على شاطئ البحر، وفاقت حكمة سليمان، حكمة جميع بنى المشرق وكل حكمة مصر، وكان أحكم من جميع الناس، وتكلم عن البهائم وعن الطير وعن الدبيب وعن السمك " (١)

وقصة المرأتين اللآتي أتت لسليمان ليحكم بينهما جاءت كالآتي :

" حينئذ أتت امرأتان زانيتان إلى الملك ووقفتا بين يديه، فقالت المرأة الواحدة " إستمع يا سيدي إني أنا وهذه المرأة ساكنتان في بيت واحد، وقد ولدت معها في البيت، وفي اليوم الثالث بعد ولادتي ولدت هذه المرأة أيضاً، وكنا معاً ولم يكن معنا غريب في البيت غيرنا نحن كلتينا في البيت، فمات ابن هذه في الليل لأنها أضجعت عليه، فقامت في وسط الليل وأخذت أبني من جانبي وأمتك نائمة، وأضجعته في حضنها وأضجعت أبنها الميت في حضني، فلما قمت صباحاً لأرضع ابني إذ هو ميت ولما تأملت فيه في الصباح إذا هو ليس ابني الذي ولدته، وكانت المرأة الأخرى تقول كلا، بل ابني الحي وابنك الميت، وهذه تقول لا بل ابنك الميت وابني الحي " فقال الملك ائتوني بسيف فاشطروا الولد الحي اثنين وأعطوا نصفاً للواحدة ونصفاً للأخرى، فتكلمت المرأة وقالت أسمع

(١) الملوك الأول ٤ من ٢٩: ٣٤ .



يا سيدي أعطوها الولد ولا تشطروه، فقال الملك أعطوها الولد الحـي لا تمسوه فإنها أمه " (١)

وجاء في الكتاب المقدس ذكر بناء سليمان الهيكل وجاء الوصف تفصيلي بالتفاصيل وعدد الرجال الذين عملوا فيه وسنة بنائه ومواصفات الهيكل بالتفصيل الشديد .

" وكان في سنة الأربع مائه والثمانين لخروج بني إسرائيل من أرض مصر وفي السنة الرابعة لملك سليمان على إسرائيل، وفي شهر زبور وهو الشهر الثاني أنه بنى البيت للرب، والبيت الذي بناه الملك سليمان طوله ستون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً وسمكه ثلاثون ذراعاً، والرواق قدام هدم هيكل البيت طوله عشرون ذراعاً حسب عرض البيت وعمل للبيت كوى مسقوفة مشبكه، وبنى مع حائط البيت طباقاً حواليه مع حيطان البيت وبنى مع حائط البيت طباقاً حواليه مع حيطان البيت حول الهيكل والمحراب، وعمل غرفات في مستدبرها، فالطبقة السفلى عرضها خمس أذرع والوسطى عرضها ست أذرع والثالثة عرضها سبع أذرع لأنه جعل للبيت حواليه من خارج أخصاماً لئلا تتمكن الجوائز في حيطان البيت وليست في بنائه بحجارة صحيحه مقتلعه ولم يستعمل في البيت عند بنائه منحت ولا معول ولا أداه من حديد، وبنى البيت وأكمله وسقف البيت بألواح وحوائز من الأرز " (٢)*

---

(١) الملوك الأول ٣ من ١٦: ٢٨ .

* هذا وصف تفصيلي لمشرع بناء، وليس لبناء قائم فعلاً يوصف البناء القائم يكون في العادة سطحي مبسط اما هذا فلا، فهو وهمم أرادوا ان يحققوا به أسطورة غير حقيقية .

(٢) ملوك الأول ٦ من ١: ٩ .

ثم نتوقف عند هذا النص الكارثة إن صح القول فهذا سليمان قد كفر وعبد آلهة أخرى .

" وأحب سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موابيات وعمونمات وأدوميات وحور وبنات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل " " لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم، لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتكم، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة، وكانت له سبع مائة من النساء وثلاث مائة من السرايا وكان سليمان في زمان شيخوخته أن نساءه أملن قلبه وراء ألهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه " (١) **

۞۞۞

(١) ملوك الأول ١١ من ١ : ٥ .

** هل يقال عن نبي كريم أنه أحب النساء وإحداهم جعلته يكفر ويعبد إله آخر غير الله فما هو سبب نبوة سليمان إذاً إذا كان هو يعبد آلهة غير الله فهذا أمر عجيب ولا يقبل بالمرة.

قصة يونس في القرآن الكريم

أرسل الله يونس إلى نينوى بجوار الموصل، وهذا ما أقر به رسول الله يوم رجوعه من الطائف حزيناً وجلس بجوار سور حديقة وجاء إليه هذا الغلام بالعنب، فقال للغلام من أين أنت قال من نينوى قال رسول الله ﷺ : " **أرض النبي الصالح يونس فقال الغلام من أين تعرف يونس قال هو نبي وأنا نبي .**

وقال ﷺ " **لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى** " (١)

وبعد أن أرسل الله النبي الكريم إلى قومه ضاق بهم ذرعاً من عدم إيمانهم فذهب عنهم مغاضباً، بعد أن يئس منهم، فخرج إلى ساحل البحر بدون إذن الله ويقول المولى عن هذا الموقف :

{وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ } (٢)

فالله هو الذي سماه ذا النون، وهنا المعنى المقصود من" أن لن يقدر عليه " لا يقصد به القدرة ولكن المقصود هو القدر، أي ظن أن الله لن يعاقبه .

وركب يونس المركب، وفي وسط البحر هاج البحر، وأوشكت هذه السفينة على الغرق، فقالوا بيننا عاص و أجروا القرعة ليعلموا من هو سبب هذا الكرب العظيم، ووقعت القرعة على يونس، فألقوه من السفينة، وهنا التقمه الحوت الذي كان ينتظره وأوحي المولى للحوت أن يونس ليس لك بطعام قال تعالى: {وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ۝ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ

---

(١) رواه البخاري .

(٢) الأنبياء (٨٧) .

الْمُشْحُونِ۝ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ۝ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ۝ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ۝ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ۝ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ۝ وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ۝ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ} (١)

وعاش يونس في ظلمات بطن الحوت وقال ﷺ : " **ولما وقع يونس في بطن الحوت ظن أنه الموت فحرك رجليه فإذا هي تتحرك فسجد، وقال يا رب أتحدث إليك ساجداً من موضع لم يسجد به احد قط** " (٢)

وجاءت روايتان عن زمن بقاء يونس في بطن الحوت ففي رواية بقى ليلة وفي رواية أخرى ليوم واحد .

كما جاء في حديثين أخرجهما الحاكم .

قال " إنه لبث في بطن الحوت أربعين يوماً " (٣)

وفي رواية : " أن الحوت التقمه ضحى ولفظه عشية " . (٤)

وهنا جاءت الدعوة إلى الله بالتضرع والندم على ما فعل ولكن بأخلاق الأنبياء .

وقال تعالى في دعوة ذى النون : { أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} (٥)

---

(١) الصافات (١٣٨: ١٤٦) .

(٢) رواه الحاكم .

(٣) رواه الحاكم .

(٤) رواه الحاكم .

(٥) الأنبياء .

وقال ﷺ : " دعوة ذى النون التي دعا بها في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين لم يدع بها مسلم في كربه إلا استجاب الله له " (١)

فاستجاب الله ونبذه الحوت على الشاطئ وأنبت عليه شجرة من قرع يستظل بورقها ويأكل منها، وكانت له مفاجأة أخرى، وهي قومه، فبعد أن خرج يونس شعروا بالندم، خرجوا خلفه يبحثون عنه التقوا به وآمنوا ومتعهم الله إلى حين، ولو لم يفعلوا هذا لوقعوا في العذاب المهين .

وقال تعالى : {فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ} (٢)

العبر المستفادة من هذه القصة :

١- العجلة من الشيطان .

٢- على الداعي البلاغ فقط .

٣- دعوة المكروب يجيبها الله سبحانه وتعالى .

٥٥٥

(١) رواه الحاكم .

(٢) يونس (٩٨) .

قصة يونس في الكتاب المقدس

جاءت قصة يونس في الكتاب المقدس ولكن جاءت باسم آخر وهو يونان بن أمتاي .

" وصار قول الرب يونان بن أمتاي قائلاً " قم اذهب إلى نينوى المدينة العظيمة نادى عليها لأنه قد صعد شرهم أمامي " (١)

وبالنسبة لقصة الحوت والتقامه ليونس تتشابه مع قصة القرآن ثم نجاه يونس، وعودته إلى قومه إلا أن الخلاف أو الملاحظات على هذا الأمر، وهي ندم قوم يونس على ما فعلوا ورد يونس عليهم .

" ويصرخون إلى الله بشدة، ويرجع كل واحد عن طريقه الرديئة وعن الظلم الذي في أيديهم، لعل الله يعود ويندم ويرجع عن حمو غضبه فلا نهلك " فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة، ندم الله على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم، فلم يصنعه " (٢)*

غضب يونان لشفقة الرب

" فغم ذلك يونان غماً شديداً فاغتاظ، وصلى إلى الرب وقال آه يارب أليس هذا كلامي إذ كنت بعد من ارض لذلك بادرت إلى الهرب إلى ترميش

* هذا كلام غير معقول هل يندم الله على أمر قد قدره فهذا به عدم فهم ولا تقدير لله سبحانه وتعالى .

** أي نبي هذا الذي يحزن لدرجة طلب الموت من الله لأنه قد رفع العقاب عن قومه فهذا هراء وكلام لا يُسمع ولا يُقبل .

(١) يونان ١ من ١: ٢ .

(٢) يونان ٣ من ٨: ١٠ .



التي أعلمت إنك إله رؤوف رحيم يطفئ الغضب كثير الرحمة ونادم على الشر، فالآن يا رب خذ نفسي مني لأن موتي خير من ـ ياتي، فقال الرب " هل اغتظت بالصواب "[1]**

✿✿✿

(١) يونان ٤ من ١: ٤ .

قصة أيوب في القرآن الكريم

نبى اله أيوب هو مثال على الصبر فقال تعالى عنه : {إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} (١)

فهذا النبي الكريم كان عنده المال والولد معافى في بدنه، وابتلاه الله بفقد المال والولد ثم ذهبت بعد ذلك صحته، وأصبح قعيدا لا يستطيع الحركة .

وقال ﷺ : " أكثر الناس بلاءً " قال الأنبياء ثم المثل ثم الأمثل ويبتلي الرجل حسب دينه " (٢).

وقال ﷺ : " إن نبي الله أيوب لبث في بلائه ثمانية عشر سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه " (٣)

وامرأته تلح عليه أن يدعو الله ليرفع عنه هذا البلاء ويرفض ويقول أستحي من الله، ثم بعد ذلك يدعو بهذا الدعاء : {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} (٤)

وجاء الرد مباشرة من الله على هذا الصابر الذي مدحه المولى من قبل :{فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ } (٥)

---

(١) ص (٤٤) .

(٢) رواه الترمذي .

(٣) رواه ابن حبان .

(٤) الأنبياء (٨٣) .

(٥) الأنبياء (٨٤) .

وقال تعالى عن هذه الدعوة الخجولة من النبي الكريم، فهو أولاً يقول أن هذا البلاء من الشيطان حياء من الله، والله بيده الخير كله وقال تعالى : {وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۞ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ} (١)

وأمره أن يغتسل من هذا الماء الذي أخرجه الله من الأرض .

ولم يتركه الله هكذا ولم يكفه الشفاء ولكن حباه بماذا : {وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ } (٢)

فزاده في الأولاد ورد عليه المال و بوفره .

وقال ﷺ : **" لما عافى الله أيوب ﷺ أمطر عليه جراداً من ذهب، وجعل يأخذ بيده ويجعل في ثوبه، وقال له يا أيوب أما تشبع قال يا رب ومن يشبع من رحمتك "** (٣)

وجاءت إليه امرأته ولكنها لم تعرفه، فأصبح شاباً قوياً مرة أخرى وأحسن مما كان عليه، وأمره المولى بأن يضرب زوجيه بحزمة من قش، وذلك براً بيمينه الذي أقسمه أن يضربها إذا شفاه الله مائه جلده ".

{وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} (٤)

---

(١) ص (٤٢) .

(٢) ص (٤٣) .

(٣) رواه احمد

(٤) ص (٤٤) .

العبر والعظات من هذه القصة :

١- لا جزاء للصبر إلا كل خير .

٢- عدم الصبر لن يغير من قدر الله من شيء .

٣- الابتلاء علامة على محبة الله للعبد .

٤- النذر لا يغير أبداً وليس للعبد إلا الصبر، فتكون السكينة في الدنيا والجزاء الأكبر يوم القيامة .

٥- التوقف عند مقولة جعفر الصادق بقبول عجبت لمن ابتلى بأربع ونسى أربع.

- عجبت لمن ابتلي بالخوف ونسي أن يقول " حسبي الله ونعم الوكيل ".
- عجبت لمن ابتلي بالمرض ونسي أن يقول " رب أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين " .
- عجبت لمن ابتلي بمكر الناس ونسي أن يقول "وأفوض أمري إلى الله والله بصير بالعباد ".
- عجبت لمن ابتلي بالكرب ونسي أن يقول " لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ".

۞۞۞



قصة أيوب في الكتاب المقدس

وابتدأت القصة في الكتاب المقدس بمكان أيوب، وكان أيوب مستقيماً يتقي الله ويحيد عن الشر، وكان عنده المال والأولاد وابتلاه الله في أبنائه، وبعد ذلك في أمواله وفي صحته ولكن الذي نتوقف عنده في هذه القصة هذا المشهد العجيب تحت هذا العنوان :

الامتحان الأول لأيوب :

" وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب، وجاء الشيطان أيضاً في وسطهم، فقال الرب للشيطان من أين جئت، فأجاب الشيطان للرب وقال من الجولان في الأرض ومن التمشى فيها، فقال الرب للشيطان هل جعلت قلبك على عبدي أيوب، لأنه ليس مثله في الأرض رجلا كاملا ومستقيما يتقي الله ويحيد عن الشر " (١) *

ثم بعد ذلك رد الله لأيوب كل ما أخذ منه وزاده وعاش في رفاهية ومات أيوب بعد ذلك .

إلا أنه جاءنا في هذا السفر حديث طويل بين أيوب وأصحابه الثلاثة لا يعرف ما هي الفائدة من هذا الحوار . فهذا لم يزد هذه القصة شيئا ولذا لا ننقل هذه النصوص .

---

* لم أعرف بنو الله ليمثلوا أمامه، ومن المعروف الذين يقفون أمام الله هم الملائكة، فهل جعلوا لله أبناء تعالى الله عم يقولون علواً كبيراً " ولم يتخذ ولداً " . وهل الشيطان يدخل إلى مجالس الملائكة، وهو مطرود منذ خُلق آدم كما تنص كل الكتب السماوية على هذا.

(١) أيوب ١ من ٦: ٩ .



زكريا في القرآن الكريم

يقول المولى عن زكريا عليه السلام : {وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ} (١)

وقال ﷺ : " كان زكريا يعمل نجار "

وبلغ به الكبر ولم يرزق بالبنين، وقد تكفل زكريا بمريم وهي صغيرة، فكان كلما دخل عليها المحراب وجد الكرامات وكان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف وعندما رأى هذه الكرامات عند مريم تشجع ودعا الله ان لا يتركه وحيداً ويرزقه الأولاد .

وقال : {وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ } (٢)

ثم أخذ يناجي ربه ويشكو من حاله قال : {قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا} (٣)

فبعد هذا السن واشتعال الرأس بالبياض وكبر العظم فلا أحرم فضلك يا رب ولم يتوقف عن هذا، فهناك مشكلة أخرى عند زكريا امرأته كانت عاقراً لا تلد ويقول زكريا : {وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا} (٤)

وزكريا يقول هب، فالهبة عطاء بلا أي أجر، ولا أي عمل، ولا أسباب منحة من الرحمن لا يستطيع أن يقدمها غيره، فهو عطاء بلا أي عوض .

---

(١) الأنعام (٨٥) .

(٢) الأنبياء (٨٩) .

(٣) مريم (٤) .

(٤) مريم (٥) .

وجاءت البشرى من ربه :

{يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا } (1)

ويتعجب زكريا من هذا الأمر، فكيف يكون له هذا الأمر بعد هذا الكبر وهذه المرأة كانت عاقراً ولكن الله يجيبه إن هذا أمر هين على الله فهو خلقك وخلق كل البشر من لا شيء .{قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا} (2)

فالله يخلق بلا أسباب، ولكن هناك أسبابا لابد للإنسان أن يأخذ بها .

وقال له المولى إن آية أن تتحقق هذه المعجزة أنه لن يستطيع أن يتكلم ثلاث ليال إلا بالرمز فقط والإشارة ولا ينطق إلا بذكر الله :

{قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا} (3)

{فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا} (4)

وهذا الغلام سيكون براً بوالديه، وعليه السلام يوم يموت ويوم يخرج حياً .

وقال عن يحيى أنه من المسارعين في الخيرات وكان يحيى ابن خالة المسيح ومبشراً بقدومه .

وقال تعالى عنهم : { إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} (5)

---

(1) مريم (7) .

(2) مريم (8) .

(3) مريم (10) .

(4) مريم (11) .

(5) الأنبياء (9) .

وقال ﷺ :" ما من أحد من ولد آدم إلا وقد أخطأ أو هم بخطيئة إلا يحيى بن زكريا وما ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس ابن متى "(١)

وقال ﷺ : " الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابني الخالة يحيى وعيسى عليه السلام " (٢)

العبر والعظات من هذه القصة :

١- عدم اليأس من رحمة الله .

٢- بركة كفالة اليتيم على البيت .

✡✡✡

---

(١) رواه أحمد .

(٢) رواه أبو داود .

قصة عيس ابن مريم في القرآن الكريم

وتبدأ قصة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام مع جدته فهي نذرت ما في بطنها ليكون خادماً لبيت الله، وعندما وضعت المولود وجدته أنثى وكانت تتمنى أن يكون ولدا، ولكن رضيت بقضاء الله، تقبل الله منها هذه المولودة السيدة مريم وقال تعالى في هذه القصة :

{إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} (1)

وتكفل زكريا مريم بعد أن أجروا القرعة على من يكفل مريم وألقوا الأقلام فوقف قلم زكريا، فتكفلها زكريا

قال تعالى : {ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ} (2)

ومن بركات مريم أن زكريا يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف .

{فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ إنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ} (3)

---

(1) آل عمران (٣٥، ٣٦) .
(2) آل عمران (٤٤) .
(3) آل عمران (٣٧) .

وبينما مريم في محرابها تعبد الله جاء إليها رسول من عند الله، يقول لها، إن الله يبشرك بعيسى، وهكذا سميَّ باسم أمه تكريماً لهذه العذراء الفاضلة، ولكنها تعجبت كيف يكون لها ولد ولم يمسسها بشر، فهذا أمر لا يصدقه أحد، ولكنه قال هذا أمر من الله وكان أمراً مقضياً وليجعله الله آية للناس .

{فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا۝ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا۝ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا۝ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا} (١)

فهذا أمر منته ولا يرد وهو بالنسبة لله أمر هين وسهل وهو رحمه للناس وكذلك آيه للناس على قدرة الله .

{فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا} (٢)

فذهبت بعيداً عن الناس بعد أن شعرت بالحمل في بطنها .

وعندما جاءها المخاض حزنت وتمنت الموت في لحظتها، ولكن يأتِ لطف الله على مريم، ولتستبشر ويطمئن قلبها، فإذا هذا الغلام يناديها من تحتها ألا تحزني، فإن الذي تحتك نبيُّ ومعجزة من الله.

{فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا۝ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا} (٣)

---

(١) مريم (١٧ : ٢٠) .

(٢) مريم (٢١) .

(٣) مريم (٢٣، ٢٤، ٢٥) .

وخلق المسيح بهذه الطريقة لتكتمل آيات قدرة الله على الخلق فآدم خلق من العدم .

وحواء خلقت من رجل بلا أنثى .

والناس جميعاً ولدوا من رجل وأنثى .

وعيسى خلق من امرأة بلا رجل .

فهذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه .

وتعجب أهل الكتاب مع هذه المسألة ولم يفهموها كما ينبغي أوقعهم ذلك في الشطط الذي وقفوا بالنسبة للمسيح و أمه ادعوا إنه إله وابن إلـه حتى يبرأ ومريم من التهمة التي رماها بها اليهود وما كان لهم أن يقعـوا في هذا .

وقال ﷺ : **" كل ابن آدم يمسه الشيطان يوم ولادته إلا مريم وابنها "** (١)

وجاء حديث رسول الله إنه لم يتكلم في المهد إلا ثلاث .

قال ﷺ :" لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى ابن مريم، وصاحب جريج وكان جريج رجلاً عابداً، فاتخذ صومعة، وكان فيها فأتته أمه وهو يصلي فقالت يا جريج فقال يا رب : أمي وصلاتي فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان الغد اتته وهو يصلي، فقالت يا جريح، فقال يا رب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته، فانصرفت فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت يا جريح فقال يا رب أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته قالت اللهم لاتمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات، فتذاكر بنو إسرائيل جريحاً وعبادته وكانت امرأة بغي تميل بحسنها فقالت إن شئتم لأفتنه لكم، قال فتعرضت له فلم يلتفت إليها، فأتت راعياً كان يأوى إلى

(١) رواه مسلم .

صومعته، فوقع عليها فحملت فلما ولدت، قالت هو من جريج، فأتوه فأستزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شأنكم قالوا: زنيت بهذه البغي، فولدت منك فقال أين الصبي ؟ فجاءوا به فقال دعوني حتى أصلي فصلى فلما أنصرف أتي الصبي فطعن في بطنه فقال يا غلام من أبوك ؟ قال الراعي، قال فانقلبوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به، وقالوا، نبني لك صومعتك من ذهب، قال لا أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا

وبينما صبي يرضع من أمه مر راكب على دابة فارهة وشاره حسنة، فقالت أمه اللهم اجعل ابني مثل هذا، فترك الثدي وأقبل إليه فنظروا إليه فقال اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديه فجعل يرضع قال : فكأني انظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي إرتضاعه بأصبعه الثانية في فمه، فجعل يمصها قال : ومروا بجاريه وهم يضربونها ويقولون : زنيت وسرقت وهي تقول: حسبي الله ونعم الوكيل فقال اجعلني مثلها، ومر رجل حسن الهيئة فقلت اللهم اجعل ابني مثله وقلت اللهم لا تجعلني مثله ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون زنيت سرقت فقلت اللهم لا تجعل ابني مثلها قلت اللهم اجعلني مثلها، قال إن ذلك الرجل جبار فقلت اللهم لا تجعلني مثله، وإن هذه اللهم اجعلني مثلها فإنها لم تكن سارقة ولا زانية .

وأما الرجل فكان جباراً فقالت مثله . فقلت لا مثله " (١)

وعندما جاءت لأهلها تحمله قالوا يا مريم لقد فعلت كبيرة فأنت من خيرة الناس وأهلك من الصالحين، وهنا جاءت معجزة المسيح أمام الملأ

(١) رواه مسلم .



وتكلم وهو رضيع وأخبرهم بأنه نبي لهم، وأنه آية من عند الله وبراءه لأمه من هذه التهمة .

{فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا۝ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا} (١)

وقال لهم : {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا} (٢)

وبعد ذلك جاء إليهم المسيح النبي ليبلغ رسالته، وجاء لهم بمعجزات أخرى، يبرئ الأكمة ويحي الموتى ويحدث لهم عن المقصد من الشريعة التي جاء بها، وهي " لأحل بعض الذي حُرم عليكم "

{وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ۝ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ۝ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ} (٣)

فما آمن معه إلا قليل وآمن الحواريون .

---

(١) مريم (٢٧، ٢٨) .

(٢) مريم (٣٠: ٣٣) .

(٣) آل عمران (٥٠) .

وقال ﷺ : **" أنا أولى الناس بابن مريم الأنبياء أولاد علات وليس بيني وبين عيسى نبي "** (١)

وعندما صعد الرسول ﷺ ليلة أسري به إلى السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم، فلما خلصت وإذا بحيي وعيسى عليهما السلام وهما ابنة خالة قال يحيي وعيسى عليهما السلام، فسلمت عليهما فردا ثم قالا مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح " (٢)

وقال ﷺ : **" فترة ما بيني وبين عيسى ستمائة سنة "** (٣)

وأيده الحواريون وآمنوا به ولكن اليهود كادوا له، وأوقعوا به الأذى، ولم يصدقوه، ولم يؤمنوا به، بل قلبوا عليه الناس جميعاً وخصوصاً الحكام وجاءت قصة المائدة، وهي بناء على طلب الحواريين من عيسى أن ينزل عليهم مائدة من السماء تكون لهم عيداً لأولهم وآخرهم وآية على صدق الدعوة .

وقال تعالى من هذه القصة : {إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء قَالَ اتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} (٤)

---

(١) رواه احمد .

(٢) رواه البخاري .

(٣) رواه البخاري .

(٤) المائدة (١١٢) .

فقال تعالى : {قَالَ اللهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ} (١)

ثم بعد ذلك جاء للمسيح البشرى من الله بأنه سيرفعه إليه ليطهره من هؤلاء المكذبين

ولذا قال الله : {إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ } (٢)

وحاول اليهود الوقوع به وقيل أنهم امسكوا به، ليقتلوه ويصلبوه ولكن الله يقول إن كيدهم في تضليل وشبه لهم وقيل إنهم قتلوا شخصاً آخر وهو الذي وشى بالمسيح للجنود .

وقال تعالى : {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُم ۞ بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا } (٣)

وهناك أمر آخر خاص بالمسيح أنه علم للساعة .

{وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا } (٤)

وقال ﷺ : " ينزل المسيح بن مريم عليه السلام عند المنارة شرق دمشق ويقتل المسيح الدجال "

وقال ﷺ :" فيقول له أمام المسلمين فيقول له عيسى إنما اقيمت الصلاة لك فيصلي خلفه ثم يركب ومن معه من المسلمين في طلب المسيح الدجال فيقتله بيده الشريفة "(٥)

(١) المائدة (١١٥) .

(٢) آل عمران (٥٥) .

(٣) النساء (١٥٧، ١٥٨) .

(٤) الزخرف (٦١) .

(٥) رواه الترمذي .

وقال أيضاً ﷺ :" والذي نفسي بيده ليوشك أن ينزل بينكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد " (١)

وقال ﷺ : " لا تزال خائنة الأعين من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام، فيقول أميرهم تعالى صلِّ بنا، فيقول لا بعضكم أمراء تكرمه من الله لهذه الأمة " (٢)

وقال الرسول محذراً من تعظيمه كما فعلت النصارى مع المسيح، وجعلوه ابن الله قال ﷺ :" لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد الله ورسوله " (٣)

وقال رسول الله على من يفعل ذلك وقال تعالى عنهم :{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ} (٤)

وقال تعالى : {لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (٥)

(١) رواه البخاري .

(٢) صحيح مسلم .

(٣) رواه البخاري .

(٤) المائدة (٧٢) .

(٥) المائدة (٧٣) .

وقال رسول الله ﷺ : " **لا أجد أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم يجعلون له ولداً، وهو يرزقهم ويعافيهم** " (١)

فهذا جزاء لمن قال على الله ما لا يعلم .

وواجب كل مسلم أن يؤمن بأن المسيح هو عبد الله ورسوله وقال ﷺ : " **من شهد أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على كل ما كان منه من عمل** " (٢)

فالنظرة القرآنية لشريعة عيسى أنها جاءت على فترة من الزمن ليحل لها بعض الذي حُرم على اليهود ويخفف عنهم، ما تشدد عليهم جزاء جدالهم وجاءت بمثالية أمام طغيان مادي يهودي كان على الأرض حينها .

وقال ﷺ : " **رأى المسيح رجلا يسرق فقال يا فلان أسرقت قال لا والله ما سرقت قال أمنت بالله وكذبت بصري** " (٣)

وأهم العبر من قصة المسيح :

١- عدم الغلو في تعظيم البشر مهما كانوا .

٢- التذكير بالساعة وأن من علامتها نزول المسيح .

٣- لا يقبل مع الشرك أو الكفر عملاً .

٤- ما الفائدة التي تعود على البشر من تأليهة المسيح وأمه .

٥- استغناء الله عن العباد كلهم .

---

(١) مسلم .

(٢) مسند الإمام أحمد .

(٣) رواه أحمد.

زكريا في إنجيل لوقا

وابتدأت هذه القصة بالتقديم لسيدنا زكريا وتقول النصوص :

البشارة بميلاد يوحنا المعمدان :

" كان في أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة أتيا، وامرأته من بنات هارون واسمها اليصابات، وكان كلاهما بارين أمام الله سالكين في جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم، ولم يكن لهما ولد إذ كانت اليصابات عاقراً، وكان كلاهما متقدمين في أيامهما، فبينما هو يكهن في نوبة فرقته أمام الله، حسب عاده الكهنوت أصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب ويبخر، وكان كل جمهور الشعب يصلون خارجاً وقت البخور، فظهر له ملاك الرب واقفاً عن يمين مذبح البخور فلما رآه زكريا اضطرب، ووقع عليه الخوف، فقال له الملاك لا تخف يا زكريا، لأن طلبتك قد سمعت، وامرأتك اليصابات ستلد لك ابناً وتسميه يوحنا، ويكون لك فرح وإبتهاج، وكثيرون سيفرحون بولادته، لأنه يكون عظيماً أمام الرب، وخمراً ولا مسكراً لا يشرب، ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس، ويرد كثير من بني إسرائيل إلى الرب إلهتهم، ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء، والعصاه إلى فكر الأبرار" لكي يهئ للرب شعباً مستعداً، فقال زكريا للملاك وكيف أعلم هذا لأني أنا شيخ وامرأتي متقدمة في أيامها، فأجابه الملاك وقال إنما جبرائيل الواقف قدام الله، وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا، وها أنت تكون صائماً ولا تقدر أن تكلم إلى اليوم الذي يكون فيه هذا، لأنك لم تصدق كلامي الذي سيتم في وقته "

وكان الشعب منتظرين زكريا متعجبين من إبطائه في الهيكل، فلما خرج لم يستطع أن يكلمهم ففهموا أنه قد رأى رؤيا في الهيكل فكان يومئ إليهم وبقي صامتاً ولما مضى أيام خدمته مضى إلى بيته، وبعد تلك الأيام حبلت اليصابات امرأته وأخفت نفسها خمسة أشهر قائلة، هكذا قد فعل بي الرب إنني أنتظر لينزع عاري بين الناس " (١) *

ميلاد يوحنا المعمدان :

" وأما اليصابات فتم زمانها لتلد، فولدت ابنـاً، وسـمع جيرانهـا وأقربائها أن الرب العظيم نزلت رحمته بها ففرحوا معها، وفـي اليـوم الثامن جاءوا إليها ليختنوا الصبي، وسموه باسم ابنه زكريا، فأجابت أمـه وقالت لا بل يسمى يوحنا، فقالوا ليس لأحد من عـشيرتك تـسمى بهـذا الاسم، ثم أرمأرا مأوا إلى أبيه ماذا يريد أن يسميه فطلب لوحـاً وكتـب قائلاً اسمه " يوحنا "فتعجب الجميع وفي الحال انفتح فمه ولـسانه وتكلـم وبارك الله " (٢)

---

* أرى تداخل النصوص بشدة وخصوصاً السطر الأخير في قول زوجة زكريـا انها تختفي من الناس حتى لا يظهر عارها أنها حامل، فهل هي حامل إلا مـن زوجها، أم أن المقصود هنا هو مريم العذراء هذا الأمر فيكتشف بسهولة .

(١) لوقا ١ من ٥ : ٢٥ .

(٢) لوقا ١ من ٥٧ : ٦٤.



قصة المسيح عليه السلام في الكتاب المقدس

وتبدأ قصة المسيح عليه السلام في إنجيل لوقا بهذه البشارة

البشارة بميلاد يسوع :

" وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة، إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود أسمه يوسف واسم العذراء مريم، فدخل إليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنعم عليها الرب معك، مباركة أنت في النساء، فلما رأته اضطربت من كلامه،وفكرت ما عسى أن تكون هذه المنحة، فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم، لأنك قد وجدت نعمه عند الله، وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع، وهذا يكون عظيماً وابن العلي يُدعى، ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية، فقالت مريم للملاك " وكيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً، فأجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحل عليك، وقوة العلى تظلك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله " [1] *

---

* في هذا النص الملاك قال للسيدة مريم إنه المولود هو ابن الله، ومرة أخرى قال لها هو ابن داود وما علاقة يوسف النجار هنا بهذا الحوار فهل هو ابن يوسف حقاً حتى يكون جدة داود كما يقول النص ؟ .

(١) لوقا ١ من ٢٦: ٣٥ .



وجاء في ميلاد المسيح الآتي :

الرعاة والملائكة :

" وكان في تلك الكورة رعاه متبدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم، وإذا ملاك الرب وقف بهم، ومجد الرب أضاء حولهم فخافوا خوفاً عظيماً فقال لهم الملاك " لا تخافوا فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب " (١)

عيسى يمكث في الهيكل ويتكلم ويتقدم في الحكمة :

" وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح، ولما كانت له أثنتا عشرة سنة صعدوا إلى أورشليم كعادة العيد، وبعدها أكملوا الأيام بقى عند رجوعهما الصبي يسوع في أورشليم، ويوسف وأمه لم يعلما، وإذ ظناه بين الرفقة ذهبا مسيرة يوم، وكانا يطلبانه بين الأقرباء والمعارف، ولم يجداه رجعا إلى أورشليم يطلبانه وبعد ثلاث أيام وجداه في الهيكل جالساً وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم، وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمة وأجوبته، لما أبصراه اندهشا وقالت له أمه " يا بني لماذا فعلت بنا هكذا، وهو ذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين، فقال لهما " لماذا كنتما تطلباني ألم تعلما أنه ينبغي أن اكون في ما لأبي، فلم يفهما الكلام الذي قاله لهما، ثم نزل معهما وجاء إلى الناصرة وكان خاضعاً لهما وكانت أمه تحفظ جميع هذه الأمور فى قلبها وأما يسوع كان يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس " (٢)*

---

(١) لوقا ٢ من ٨: ١٠.

* مرة حدثت على ان أباه هو يوسف على لسان مريم، وهو ابن الله على لسان عيسى، ثم صوت من السماء فإنه هو ابن الله .

(٢) لوقا ٢ من ٤١: ٥٢ .

وجاء في معمودية المسيح :

" ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضاً وإذا كان يصلي انفتحت السماء، ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة وكان صوت من السماء قائلاً أنت ابني الحبيب بك سُررت " (١)*

وجاء من معجزات المسيح :

" وكان يأمر الأرواح النجسة فتخرج، وخرج صيت عنه إلى كل موضع في الكورة المحيطة، ولما قام من المجمع دخل بيت سمعان وكانت حماه سمعان قد أخذتها حمى شديدة، فسألوه من أجلها، فوقف فوقها وانتهر الحمى فتركتها وفي الحال قامت وصارت تخدمهم، وعند غروب الشمس جمع الذين كان عندهم سقما بأمراض مختلفة فدنوهم إليه فوضع يديه على كل واحد منهم وشفاهم "(٢) .

وجاء في اختيار عيسى الأثنى عشر حواري :

اختيار الرسل الأثنى عشر :

" وفي تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلي وقضى الليل كله في الصلاة لله ولما كان النهار دعا تلاميذه، واختار منهم اثني عشر، الذين كما هم أيضاً رسلاً، سمعان الذي سماه أيضاً بطرس، وأندراوس أخوه يعقوب ويوحنا، فيلبس، وبرثر لمادس، متى وتوما يعقوب بن خلعي، وسمعان الذي يدعا الغيور، ويهودا أخا يعقوب ويهوذا الأسحز بوطي " الذي صار مسلماً أيضاً " (٣).

---

(١) لوقا ٣ من ٢١: ٢٢ .

(٢) لوقا ٤ من ٣٦ : ٤٠.

* يقول لهم صراحة إنه ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً كداوود عليه السلام .

** وهنا زجر بطرس عندما قال أن المسيح هو الله وقال أن ابن الإنسان يتألم ويموت ثم بعد ثلاث أيام يقوم .

(٣) لوقا ٦ من ١٢: ١٦.



عيسى يتحدث عن داود ويعترف بأنه ابن إنسان

رب البيت

فقال لهم قوم من الفريسيين " لماذا تفعلان ما لا يحل فعله في السبوت، فأجاب يسوع وقال لهم " اما قرأتم ولا هذا الذي فعله داود حين جاع هو والذين كانوا معه " كيف دخل بيت الله وأخذ خبز التقدمة وأكل، وأعطى الذين معه أيضاً الذي لا يحل أكله إلا للكهنة فقط " وقال لهم إن ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً " (١)* .

المسيح يزجر تلاميذه عندما قالوا إنه الله :

" وفيما هو يصلي على انفراد كان التلاميذ معه، فسألهم قائلاً " من تقول الجموع أني أنا " فأجابوا وقالوا " يوحنا المعمدان وآخرون، إيليا وآخرون إن نبياً من القدماء قام، فقال لهم " وأنتم من يقولون أني أنا،" فأجاب بطرس، قائلاً " إنه ينبغي أن ابن الإنسان يتألم كثيراً ويُرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، ويقتل، وفي اليوم الثالث يقوم " (٢)***

۞۞۞

تلاميذ عيسى ينادونه بالمعلم وجاء هذا تحت عنوان التجلي :

التجلي :

"قال بطرس ليسوع " يا معلم جيد أن نكون ههنا، لنصنع ثلاث مظال لك واحدة ولموسى واحدة ولايليا واحدة، وهو لا يعلم ما يقول . وفيما هو يقول ذلك كانت سحابة فظللتهم، فخافوا عندما دخلوا في

---

(١) لوقا ٦ من ٢: ٥.

(٢) لوقا ٩ من ١٨: ٢٢ .



السحابة، وصار صوت السحابة قائلاً " هـذا هـو ابنـي الحبيـب لـه اسمعوا " [١]*

وبعد قليل يقول أقل من يوم يقول المسيح لتلاميذه :

قال لتلاميذه وضعوا أنتم هذا الكلام في آذانكم إن ابـن الإنـسان سوف يسلم إلى أيدي الناس، وأما هم فلم يفهموا هذا القول وكـان مخفيـا عنهم لكي لا يفهموا وخافوا أن يسألوا عن هذا القول " [٢] * *

وجاء في هذا العنوان

قرية سامرية ترفض يسوع :

" حين تمت الأيام لارتفاعه ثبت وجهه لينطلـق إلـى أورشـليم، وأرسل أمام وجهه رسلاً فذهبوا ودخلوا قرية السامرين حتى بعدوا له، فلم يقبلوه لأن وجهه كان متجهماً نحو أورشليم، فلما رأى ذلك تلميذه يعقـوب ويوحنا قالا " يا رب أتريد أن تقول أن تنزل ناراً من السماء فتفنيهم كمـا فعل إيليا أيضاً، فالتفت وانتهرهما وقال " لستما تعلمان من أى روح أنتما، لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل يتخلص فمضوا إلى قريـة أخرى " [٣]***

---

* في النص الأول التلاميذ قالوا له يا معلم .

** وفي النص الثاني المسيح يقول لهم إنه ابن الإنسان سوف يسلم إلى أيدي الناس .

*** وفي النص الثالث التلاميذ قالوا للمسيح يا رب وهو قال في نفس النص انـه ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس .

(١) لوقا ٩ من ٣٣: ٣٦.

(٢) لوقا ٩ من ٤٤ : ٤٥ .

(٣) لوقا ٩ من ٥١: ٥٦ .

يسوع يتنبأ بموته وقيامته :

" وأخذ الأثنى عشر وقال لهم " هانحن صاعدون إلى أورشليم وسيتم كل ما هو مكتوب بالأنبياء عن ابن الإنسان، لأنه يسلم إلى الأمم، ويستهزئ به ويشتم ويتفل عليه، ويجلدونه ويقتلونه، وفي اليوم الثالث يقوم، وأما هم فلم يفهموا من ذلك شيئاً، وكان هذا الأمر مخفيا عنهم ولم يعلموا ما قيل " (١)

المسيح ينبئ بالمسيح الدجال علامة من علامات الساعة:

" فقال انظروا لا تضلوا بأن كثيرين سيأتون باسمي قائلين إني أنا هو والزمان قد قرب فلا تذهبوا وراءهم، فإذا سمعتم بحروب وقلاقل فلا تجزعوا لأنه لابد أن يكون هذا أولاً ولكن لا يكون المنتهي سريعاً " ثم تقوم امه على أمه ومملكة على مملكة " (٢)

ويخبر المسيح بنزوله بعد ذلك وقال :

" وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتياً في سحابه بعده ومجد كثير " (٣)

وجاء في هذه النصوص قصة تسليم المسيح للجنود وصلبه وخيانة يهوذا للمسيح عليه السلام

---

(١) لوقا ١٨ من ٣١: ٣٤ .

* فى النص الأول قالوا له يا معلم

وفى النص الثالث المسيح يقول لهم انه ابن الإنسان سوف يسلم إلى أيدى الناس .

** وفى النص الثانى التلاميذ قالوا للمسيح يارب وهو قال فى نفس النص إنه ابن الإنسان ولم يأت ليهلك النفس .

(٢) لوقا ٢١ من ٨: ١٠.

(٣) لوقا ٢١ / ٢٧ .

المؤامرة وخيانة يهوذا :

" وقرب عيد الفطير الذي يقال له الفصح، وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يقتلونه لأنهم خافوا الشعب، فدخل الشيطان في يهوذا الذي يدعي الأسخربوطي وهو من جملة الأثنى عشر، فيمضي وتكلم مع رؤساء الكهنة وقواد الجنة كيف يسلمه إليهم، ففرحوا وعاهدوه ان يعطوه فضه، فواعدهم وكان يطلب فرصة ليسلمه إليهم خلوا من جمع " (١)

قال المسيح عليه السلام :

" هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم، ولكن هو ذا يد الذي يسلمني هي معي على المائدة " وابن الإنسان ماض كما هو محتوم، ولكن ويل لذلك الإنسان الذي يسلمه، فابتدأ يتساءلون فيما بينهم " من منهم هو المزمع أن يفعل هذا " (٢)

القبض على يسوع :

" فلما رأى الذين حوله ما يكون " قالوا يا رب أنضرب بالسيف " وضرب واحد منهم عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى، فأجاب يسوع

---

(١) لوقا ٢٢ من ١: ٦ .

* في القبض على يسوع ينادي يا رب، وفي النص الأول يقول المسيح أنه ابن الإنسان، وفي النص الثالث عندما قالوا له إنك ابن الله رفض هذه المقولة، وقال أنتم تقولون هذا، وهذا التناقض في النصوص أوقعني في حيرة هل يوجد عاقل يقرأ هذه النصوص ثم يؤمن بما . يقولون بأن المسيح ابن الله فمن يؤمن بهذا يحتاج إلى علاج سريع فالأمور واضحة أن هذا كلام متناقض .

(١) لوقا ٢٢ من ٢٠ : ٣٣ .

(٢) لوقا ٢٢ من ٢٠: ٢٣ .



وقال " دعوا إلى هذا ولمس أذنه وأبرأها، ثم قال يسوع لرؤساء الكهنة وقواد جند الهيكل والشيوخ والمقبلين عليه "كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصى، وإذ كنت معكم كل يوم في الهيكل لم تمدوا على الأيادي، ولكن هذه ساعتكم وسلطان الظلمة " (١)

محاكمة المسيح :

" ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب رؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه إلى مجمعهم قائلين " إن كنت أنت المسيح فقل لنا، فقال لهم إن قلت لكم لا تصدقون : وإن سألت لا تجيبوني ولا تطلقونني، منذ الآن يكون ابن الإنسان جالساً عند يمين قوة الله، فقال الجميع " أنت ابن الله " فقال لهم أنتم تقولون أني أنا هو، فقالوا وما حاجتنا بعد إلى شهادة لإننا نحن سمعنا من فمه " (٢)*

جاء في صلب المسيح ﷺ ثم بعد ذلك موته :

الموت :

" وكان نحو الساعة السادسة فكانت ظلمه على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة أظلمت الشمس، وانشق الهيكل من وسطه ونادى يسوع بصوت عظيم . وقال يا أبتاه في يدك أستودع روحي، ولما قال هذا أسلم

---

(٣) لوقا ٢٢ من ٤٩: ٥١.

(٤) لوقا ٢٢ من ٦٦: ٧١ .

* المسيح ﷺ يقول إنه صاعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم فهذا النص لا يحتاج إلى تعليق إلا لأظهار كم التناقض في المعتقد المسيحي وفي المسيح نفسه والحق هنا أنه كما قال المسيح هو إلهي وإلهكم .

الروح، فلما رأى قائد المائه ما كان، مجد الله قائلاً بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً " (١)

القيامة :

" ثم في أول الأسبوع أول الفجر أتين إلى الغير حاملات الحنوط الذي أعددته، ومعهن أناس، فوجدن الحجر مدحرجاً عن القبر، فدخلن ولم يجد جسد الرب يسوع، وفيما هن مختارات في ذلك، إذ رجلان دفعا بهن بثياب براقة، وإذ كن خائفات ومنكسات وجوهن إلى الأرض قالا لن " لماذا تطلبين الحي بين الأموات، ليس هو هنا لكنه قام، أذكرن كيف كلمكن وهو بعد في الجليل، إنه ينبغي أن يسلم ابن الإنسان في أيدي أناس خطاه ويطلب، وفي اليوم الثالث يقوم فتذكرن كلامه " (٢)

وظهر المسيح مرة أخرى لتلاميذه ثم بعد ذلك صعوده للسماء :

" وأخرجهم خارجاً إلى بيت عنبا ووضع يديه وباركهم، وفيما هو يباركهم أنفرد عنهم، وأصعد إلى السماء، فسجدوا له ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم، وكانوا كل حين في الهيكل يسبحون ويباركون الله آمنين " (٣)

---

(١) لوقا ٢٣ من ٤٤: ٤٧.

(٢) لوقا ٢٤ من ١: ٨ .

(٣) لوقا ٢٤ من ٥٠: ٥٣ .

الأناجيل الأخرى

وهي بعض النصوص من عدة أناجيل مختلفة .

ففي إنجيل يوحنا جاء هذا النص عن المسيح يقول لتلاميذه إنه صاعد قال لها يسوع " لا تلمسيني لأني أصعد بعد إلى أبي ولكن اذهبي إلى أخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم " (١)*

نسب المسيح إلى يوسف النجار إلى داود إلى إسحاق إلى يعقوب إلى إبراهيم ثم جاء بعد ذلك هروب مريم ويوسف إلى مصر .

" وبعد ما انصرفوا إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف في حلم قائلاً " قم وخذ الصبي وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك، لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبي ليهلكه "، فقام وأخذ الصبي وأمه ليلاً وانصرف إلى مصر، وكان هناك إلى وفاة هيرودس لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل من مصر دعوت ابنى " (٢)

وجاء في إنجيل متى ظهور المسيح لتلاميذه :

" أما الأحد عشر تلميذاً فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل حيث أمرهم يسوع، ولما رأوه سجدوا له، ولكن بعضهم شكوا، فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً " ادفع إلى كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا

---

* المسيح عليه السلام يقول إنه صاعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم فهذا النص لا يحتاج إلى تعليق إلا لأظهار كم التناقض فى المعتقد المسيحي، وفي المسيح نفسه والحق هنا أنه كما قال المسيح هو إلهي وإلهكم .

(١) يوحنا ٢٠/١٧ .

(٢) متى ٢ من ١٣: ١٥ .

جميع الأمم وعمدوهم " باسم الرب،والابن، والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيكم به وهاأنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر " (١)

يسوع ينبئ بموته وقيامته :

" وابتداء يعلمهم أن ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيراً، يرفض من الشيوخ ولكنه يقتل وبعد ثلاثة أيام يقوم، وقال القول علانية، فأخذه بطرس فالتفت وأبصر تلاميذه فانتهز بطرس قائلاً اذهب عني يا شيطان إنك لا تهتم بما لله ولكن بما للناس " (٢)

✡✡✡

(١) متى ٢٨ من ١٦: ٢٠ .

(٢) مرقس ٨ من ٣١ : ٣٣ .

نظرة عامة على قصص القرآن

بالنظر إلى قصص الأنبياء في القرآن فلابد أن يلحظ كل قارئ أن قصص القرآن تجلت بها روعة البلاغة القرآنية، واشتملت هذه القصص على روعة عناصر القصص، من اشتماله على إجمال في سورة وتفصيل جزئية في سورة أخرى، ثم جزئية أخرى تفسر في سورة أخرى، وفي أغلب الأحيان تشمل هذه الجزئية على جزء من القصة القرآنية مع موعظة وعبرة وتذكرة .

فنادراً ما نجد جزئية تخلو من موعظة أو عبرة أو تذكرة وتشمل القصة على عنصر التشويق، فالقارئ يلهث خلف القصة كاملة خلال قراءته في القرآن الكريم.

والقصص القرآني يستوعبها العقل السليم بسهولة، وحتى عند ذكر خوارق العادات والمعجزات التي أرسلها الله مع رسوله ليصدقوها فالقارئ يستوعبها بسهولة، لأنه مُهدت له منْ قبل أن يصل إليها، بل نجد ترتيب هذه المعجزات بدقة متناهية من الأسهل إلى الأصعب، فمثلاً تبدأ قصة عيسى ومعجزته في سورة آل عمران وهي إبراء الأكمة والأبرص، ثم تنتقل الآيات إلى معجزة موسى أكبر منها وجاءت بعدها بعدة سور حتى يستطيع أن يستوعبها العقل، مثل معجزة العصا واليد البيضاء، ثم تنتقل السور إلى المعجزة الأصعب والأثر في قصة سليمان مثلاً تسخير الجن والطير والرياح تجري بأمره حيث يشاء، وهذا تدريج بالعقلية حتى تستوعب هذه الأمور بسهولة .

وعندما نتوقف عند العبر والعظات بخبرها تأتي مقرعة بأسلوب يجعل الأبدان تقشعر منها وهذا يحقق الغرض منها بسهولة .

التحذير من أن العقاب الذي حل بالغابرين مستمر ما دامت هذه المعاصي أو الذنوب التي أهلكت الغابرين، إلى أن تقوم الساعة .

الحديث عن بني إسرائيل أعداء الأمس واليوم والمستقبل بالتفصيل فهو الواقع درس لنا، وتحليل نفسي وعلمي دقيق عن هؤلاء البغاة .

ولا يجد الدارس للعقلية اليهودية أوضح ولا أشمل ولا أعمق من القصص القرآني، فهذه القصص هي ضياء لكل مسلم ليعرف معرفة دقيقة على اليهود .

كلام القرآن في القصص موجز دقيق التصوير عندما تسمع أي أذن واعية تتصور لها المشاهد كأنها تراها رأى العين .

❁❁❁

نظرة على قصص الأنبياء

في الكتاب المقدس

نتوقف أولاً قبل أن نتكلم عن القصص في الكتاب المقدس مع نصين أولهما يقول إكمال الناموس .

" ولا تظنوا إني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقص بل لأكمل، فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل " (١)

وهذا بالنسبة للكتاب المقدس كله وإن كان خارج عن الموضوع الذي نتحدث عنه، ولكن لابد من الوقوف عند هذا النص، فالسيد المسيح قال أنه جاء ليكمل رسالة موسى، ولا ينقص منها شيئا وهذا كلام لا أصل له في الكتاب المقدس، فالعهد القديم منقوضاً تماماً بالعهد الجديد، وخصوصاً بالنسبة للشرائع فشريعة موسى كما رأينا وخصوصاً مع أنبياء بني إسرائيل قتال وعنف وتدمير، وهذا كله بأمر الله بعكس المسيح يقول وهو واقف ليقتل ويقول لتلاميذه لا ترفعوا السيف على قاتلة، بل يعالج هذا الجندي الذي ضربه بالسيف، فهل هناك نقض للناموس أم لا، والأمثلة كبيرة جداً لهذا النقض، ولكن يظهر هذا المثال، وجاء هذا المثال من قبل (٢)

ولذا لابد من أن نفصل بين العهد القديم والجديد لأن بينهما فروق كبيرة في المنهج والأسلوب، ففي نص نجد أن هناك نص آخر ينسخة أو يناقضه تماماً وهو ما أشرنا إليه في حينه .

---

(١) متى ٥ من ١٧ : ١٩ .

(٢) لوقا ٢٢ من ٤٩ : ٥١ .

ولكن اجتمعا الكتابان على ركاكة الأسلوب، فالبكاد وممكن أن يسميا في معظم نصوصهم أن هذا كتاب سيرة، والتناقض وخصوصاً في الإنجيل ظاهر حتى في السفر نفسه .

وبالنسبة للتوراة عموماً لا أراه كتابا يُتعبد به بل هو عبارة عن كتاب سيرة يظهر أمجاد بني إسرائيل ويعظمها، ويبالغ فيها، والملاحظ أيضاً أن كل الدم والقتل الذي فعله بنو إسرائيل، ألصقوه بالكتاب المقدس كأنه أمر رباني، وهذا كذب وكل المنكرات التي فعلوها والإفساد في الأرض جعلوها نصوص مقدسة، وهذا أمر لا يقبله عقل ولا نقل صحيح، فالله لا يأمر بالفساد ولا بالظلم ولكنهم هم الفاسدين والظلمة والبغاة .

محاولة جعل بني إسرائيل أنهم شعب الله المختار مكررة ومملة وواضح فيها الحشر والوضع تماماً .

ومحاولة زج الأرض التي وعدها الله سيدنا إبراهيم في نصوص كثيرة يُخرج هذه النصوص عن مقصدها ويشوهها تشويهاً ظاهراً لكل ذي عين، وكل قارئ .

وهذا الكتاب بكل صراحة يصلح كدليل اتهام ضد بني إسرائيل يحاكمون عليه لأنهم يصرون على أن يطبقوا هذه المجازر التي فعلها أجدادهم في العصر الحديث .

هذا الكتاب يدحض قولهم أن محمدا ﷺ علمه بشر أو كاهن لأن هناك قصص كثيرة جاء ذكرها في القرآن ولم يأت ذكرها في الكتاب المقدس بل إن القرآن خالف الكتاب المقدس في مواطن كثيرة .



تعمد عدم ذكر أنبياء العرب ولا حتى الإشارة إليهم ثم أهل فلسطين وسكانها الأصليين في عدة نصوص بلا داع .

تحدث الكتاب المقدس عن نسب الأنبياء بدقة شديدة منذ آدم وحتى عيسى ابن مريم، وكذلك تواريخهم ولكن العلم الحديث يكذب هذه الحقائق وخصوصاً الفترة بين نوح لوجود حضارات أقدم من هذه التواريخ .

- الإطالة في بعض القصص وذكر أمور لا تحتاج إليها القصة ولا يلزم ذكرها ولا يضر شطبها .
- في نصوص كثيرة وجدنا النصوص تتحدث عن أن هذا الأمر مستمر حتى الآن، وهذا معناه أن هذا الكتاب كتب بعد الأحداث بفترة طويلة.
- والذي يثير العجب الحديث عن الأنبياء بهذه الطريقة ورميهم بهذه التهم وكأن هذا الكتاب يتحدث عن أرذال الناس وليس عن أنبياء اصطفاهم الله على العالمين، مثل قصة سليمان أنه عبد آلهه أخرى وكذلك غرام داود بامرأة قائد جيشه و الزنا معها، فهذا كلام لا يقبل أبداً عن نبي كريم اصطفاه الله على العالمين .
- بالنسبة للأناجيل نجد التناقض البين وخصوصاً بالنسبة لقصة المسيح عيسى ابن مريم، فمره هو الله ومرة هو ابن الإنسان ومرة هو ابن الله وهذا التناقض أظهرناه في سياق هذه النصوص .
- وبالنسبة لعلاقة يوسف النجار بالسيدة مريم، يوجد تناقض بين الأناجيل بعضها بعضاً، وقصة قبولها بعد علمه بحملها وخصوصاً نسب السيد المسيح ليوسف النجار .

- ونلاحظ تحقق قول القرآن بان السيد المسيح جاء ليخفف عن الناس ويكسر عنف اليهود وهذا واضح في الإنجيل، فكل أقوال المسيح تدعو إلى التسامح إلى أبعد الحدود، وهذا ملائم تماماً لنبي جاء على فترة من الزمن، وستأتي بعده شريعة ثابته وسطية تلائم الناس، وأما شريعة عيسى بهذه المثالية، فلا يقبلها الناس طوال حياتهم وخصوصاً إنسان هذا العصر .
- قصة قتل المسيح وصلبه فلا يقبلها عقل فما هي الفائدة المستفادة من قتله بالنسبة لله ثم قيامته، وهو كما يدعون ابنه، وكذلك قيامته بعد ذلك فهي تحتاج إلى عقلية ممسوحة لتقبل هذا الكلام عن الله وعن نبيه وعن عيسى ابن مريم رسول الله .
- لم أجد أي استفادة من دراسة الكتاب المقدس بالنسبة لقصص الأنبياء فهو لا يزيد عن كتاب تاريخ مُزور .

✡✡✡



﴿ المراجــع ﴾

القرآن الكريم .
تفسير ابن كثير .
ظلال القرآن .
محاسن التأويل للقاسمي .
تفسير فتح القدير للشوكاني .
برنامج المحدث .
فتح المنعم في شرح صحيح مسلم — د. موسى شاهين لاشين
تيسير صحيح البخاري — د. موسى شاهين لاشين
دعوة الرسل من القرآن الكريم والكتاب المقدس — د. بكر زكي
قصص الأنبياء — عبد الوهاب النجار
الرد الجميل على المشككين في الإسلام من القرن والتوراة والإنجيل — عبد المجيد صبح
التوراة والإنجيل والقرن والعلم — موريس بوكاي
ترجمة : الشيخ حسن خالد مفتي الجمهورية اللبنانية .
قصص الأنبياء — لابن كثير
قصص القرآن — محمد أحمد جاد المولى
حمد أبو الفضل إبراهيم
أنبياء الله — الشيخ محمد متولي الشعراوي
قصص الأنبياء — الشيخ حسن أيوب
الرسل والرسالات — د عمر سليمان الأشقر
الكتاب المقدس — إصدار دار الكتاب المقدس
الإنجيل للقديس لوقا — الناشر :دار المعارف .

فهرس الموضوعات



Elmilady _ aly @ hotmail.com


سلسة رسائل المسجد
رسالة التوعية
أحسن القصص
بين القرآن الكريم والكتاب المقدس
تاليف
على حسين الميلادى
Bibliotheca Alexandrina
11263357
$ 7